

القلب ودرجات التفكير

المقدمة

المبحث الأول: النظر .

المبحث الثاني: البصر .

المبحث الثالث: الرؤية .

المبحث الرابع: التذكر .

المبحث الخامس: التفكير .

المبحث السادس: العقل .

المبحث السابع: التدبر .

المبحث الثامن: الاعتبار .

المبحث التاسع: التأمل

المقدمة

الله خلق البشر مهياً وقادر على النظر والتفكير والتذكر والعقل والتدبر والاعتبار . ويظهر هذا من خلال الصيغ التي وردت في القرآن الكريم من أمر بهذه الأفعال، فالله عز وجل لا يأمر خلقه إلا بما هو مستطاع وفي قدرتهم.....

الأمر بالنظر: فقال تعالى: ﴿..... أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرَةٍ إِذَا أَنْتُمْ وَبِعِبَادٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

البصر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٣).

التذكر: ﴿يُنَبِّئُكَ إِسْرَائِيلُ أَنْتَدْرَبُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونَ﴾ (٤).

واقترن بعضها بلفظ «لعل» التي تفيد الحث على التذكر ببيان الأسباب الداعية إليه.

﴿..... كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦)

التذكر والتفكير: فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٧) .

وصيغة الفعل المضارع التي تدل على الاستمرار وإدامة التذكر والتفكير والتدبر.

التدبر: قال تعالى: كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّدَّبَرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) " (٨).

(١) سورة الأنعام: ٩٩ .

(٢) سورة يونس: ١٠١ .

(٣) سورة الأنعام: ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة: ٤٠ .

(٥) سورة الأعراف: ٥٧ .

(٦) سورة الذاريات: ٤٩ .

(٧) سورة آل عمران: ١٩١ .

الاعتبار: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٩﴾ .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٠﴾ .

وعندما يمتنع الإنسان عن هذه الأفعال ولا يقوم بما هو واجب عليه وفي استطاعته، جاءت صيغة الإنكار، فكان الاستفهام الإنكاري: قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١١)

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَفْقَالِهَآ﴾ (١٤).

وهذه الأفعال درجات بعضها فوق بعض.

وكلها محلها القلب ، فالعقل مكانه في القلب ، والنظر، والبصيرة ، والرؤية، والتذكر ، والتفكير، والتدبر، والاعتبار، والتأمل ، كلها أعمال قلبية.

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)) الحج بس

مشكلة البحث:

أثناء العمل بكتابة رسالة الدكتوراه قابلتني هذه الألفاظ وفكرت كثيرا هل أحصيتها مع ماأحصيت من ألفاظ متعلقة بالقلب أم لا، وأثرت أن أضعها جانبا حتى أنتهي من رسالة الدكتوراه حتى لاتطول أكثر مما ينبغي .

(٨) سورة ص: ٢٩ .

(٩) سورة الحشر: ٢ .

(١٠) سورة المؤمنون: ٢١ .

(١١) سورة الذاريات: ٢١ .

(١٢) سورة هود: ٢٤ .

(١٣) سورة الأنعام: ٥٠ .

(١٤) سورة محمد: ٢٤ .

عدم وجود عمل تناول هذه الألفاظ بالدراسة المستفيضة أوحى تناول البسيط مما جعلني أبذل الكثير من الجهد والطاقة لجمع المادة من كتب اللغة والتفسير فالعمل يمتاز بالجدة والإضافة الحقيقية للمكتبة العربية .

عند البحث عن هذه الألفاظ المتعلقة بالقلب لم أجد كتابا أو أي عمل تناولها من قبل بالشكل الذي جمعته.

أهداف البحث وأهميته

توفير كتاب مختص بهذه الألفاظ بالمكتبة العربية يجمع الألفاظ المتعلقة بالقلب وإن لم تكن مصاحبة له ولكن يفهم ذلك من السياق والرجوع لكتب اللغة والتفسير .

الدراسات السابقة

لا توجد دراسات سابقة في هذا الموضوع فالموضوع يمتاز بالجدة والإضافة الحقيقية للمكتبة.

المنهجية

اتبعت في الدراسة المنهج الوصفي بشقيه :

الشق الاستقرائي : عن طريق استقراء القرآن الكريم واستخراج الآيات الكريمة موضوع الدراسة .

الشق التحليلي : تحليل الآيات الكريمة لاستخراج الألفاظ المتعلقة بكل مبحث.

نتائج البحث

- ١- جمع المعلومات والأدلة اللغوية التي تظهر أن البصر والبصيرة من الأعمال القلبية وإن لم يأتي هذا نصا صريحا في القرآن الكريم ،فأثبت ذلك من خلال السياق وكتب اللغة والتفسير.
- ٢- الرؤية من الأعمال القلبية وجمع الأدلة والشواهد المؤكدة لذلك.
- ٣- جمع الأدلة المختلفة الدالة على أن التذكر من الأعمال القلبية.
- ٤- إثبات أن التفكير من الأعمال القلبية .
- ٥- إثبات أن العقل من تخصص القلب ومن الأعمال القلبية التي جاءت مصاحبة للقلب وأنكره الكثيرون ولكن الله أكده بقوله تعالى:حتى ينتهي هذا الخلاف والشك ونسب هذا العمل للقلب.
- ٦- إثبات أن التدبر من الأعمال القلبية وإن لم يأت اللفظ مصاحبا للقلب واثبت ذلك من خلال الأدلة المتنوعة.
- ٧- التوصل إلى أن الاعتبار من الأعمال القلبية.
- ٨- اثبات أن التأمل من الأعمال القلبية من خلال الأدلة من القرآن الكريم وكتب اللغة والتفسير.

عائدة طلحة

المبحث الأول: النظر في القرآن.

وأول هذه الألفاظ التي سأتناولها هي لفظ النظر، وليس المعنى نظر العين للأشياء الظاهرة، ولكن المعنى بالموضوع نظر القلب في خلق الله، وفي النفس، نظر التأمل والاعتبار.

الجذر اللغوي (ن ظ ر)

ألفاظ هذا الجذر: ورد لفظ نظر في القرآن الكريم بعدة صيغ وهي: نظر - أنظر - تنظر - تنظرون - لننظر - ينظر - ينظروا - ينظرون - انظرونا - فانظرونا - فانظري - تنظرون - أنظري - ينظرون - ينتظر - ينتظرون - انتظر - انتظروا - الناظرين - ناظرة - نظرة - منظرون - المنظرين - منتظرون - المنتظرين.

تعددت الصيغ للجذر .

وتعددت المعاني أيضا ومن معاني النظر الآتي:

الرؤية، والانتظار، والتفكير، والتأمل والاعتبار، والرحمة.

وأمر الله الخلق بالنظر فيما خلق نظر تأمل واعتبار ليفقه الإنسان ويتعلم.

النَّظَرُ لُغَةً:

نظر: نَظَرَ إِلَيْهِ يَنْظُرُ نَظْرًا، وتقول: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ نَظَرِ الْعَيْنِ وَنَظَرَ الْقَلْبِ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥) ، أي لا يرحمهم. وقد تقول العرب: نَظَرْتُ لَكَ، أي عطفت عليك بما عندي، وقال الله - عز وجل: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ (١٦)، ولم يَقُلْ: لا يَنْظُرُ لَهُمْ فيكون بمعنى التَّعَطُّفِ (١٧).

النَّظَرُ اصطلاحًا:

نظر العين يتعدى بـ إلى، و نظر القلب يتعدى بـ في (١٨).

النَّظَرُ: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمّل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص (١٩) . وَيَسْتَعْمَلُ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْمَعَانِي كُلِّهَا يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِ وَاحِدٍ، وَهُوَ طَلَبُ الْإِدْرَاكِ (٢٠)، وهو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته، وهوترتيب أمور

(١٥) سورة آل عمران: ٧٧.

(١٦) سورة آل عمران: ٧٧.

(١٧) العين ١٥٤/٨، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٨٣٠/٢..

(١٨) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٥٣٥/٢.

(١٩) نصره النعيم ٣٥١٦/٨، ٣٥١٧.

(٢٠) معجم الفروق اللغوية ٤٦/١.

معلومة على وجه يؤدي إلى استعمال ما ليس بمعلوم، والنظر عبارة عن حركة القلب لطلب علم عن علم .

ذكر أهل التفسير أن النظر في القرآن على ستة أوجه (٢١):

أحدها: الرؤية والمشاهدة. ومنه قوله تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ﴿٢٢﴾، وقوله تعالى: (فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَنَّ وَأَنْظُرْ إِلَى جِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿٢٣﴾، وفي الأعراف: ﴿..... قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ.....﴾ ﴿٢٤﴾، وقوله تعالى: (وتراهم ينظرون إليك) ﴿٢٥﴾، وفي القيامة: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ ﴿٢٦﴾ .

والثاني: الانتظار. ومنه قوله تعالى في النمل: ﴿فناظرة به يرجع المرسلون﴾ ﴿٢٧﴾، وفي يس: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ ﴿٢٨﴾، وفي الحديد: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ ﴿٢٩﴾، وفي ص: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة﴾ ﴿٣٠﴾ .

والثالث: التفكير والاعتبار. ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿أنظروا إلى ثمرة﴾ ﴿٣١﴾، وفي يونس: ﴿قل أنظروا ماذا في السموات والأرض﴾ ﴿٣٢﴾، وفي عبس: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ ﴿٣٣﴾، وفي الغاشية: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل: كيف خلقت﴾ ﴿٣٤﴾، وفي الطارق: ﴿فلينظر الإنسان مِم خلق﴾ ﴿٣٥﴾، والرابع: الرحمة. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ ﴿٣٦﴾ .

(٢١) نزها الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: الجوزي ٥٨٩/١ .

(٢٢) سورة البقرة: ٥٠ .

(٢٣) سورة البقرة: ٢٥٩ .

(٢٤) سورة الأعراف: ١٤٣ .

(٢٥) سورة الأعراف: ١٩٨ .

(٢٦) سورة القيامة: ٢٣ .

(٢٧) سورة النمل: ٣٥ .

(٢٨) سورة يس: ٤٩ .

(٢٩) سورة الحديد: ١٣ .

(٣٠) سورة ص: ١٥ .

(٣١) سورة الأنعام: ٩٩ .

(٣٢) سورة يونس: ١٠١ .

(٣٣) سورة عبس: ٢٤ .

(٣٤) سورة الغاشية: ١٧ .

(٣٥) سورة الطارق: ٥ .

(٣٦) سورة آل عمران: ٧٧ .

وَالْخَامِسُ: النَّظْرُ بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ كَقَوْلِهِمْ: الْجَبَلُ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَدَارِي تَنْظُرُ إِلَى دَارِ فُلَانٍ،
وَدَوْرِنَا تَنْظُرُ (٣٧).

وَالسَّادِسُ: النَّظْرُ بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ} (٣٨)
أَي: يَعْلَمُ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} (٣٩).
بصيرة في نظر

النَّظْرُ: تَأْمُلُ الشَّيْءَ بِالْعَيْنِ، وَكَذَلِكَ النَّظْرَانُ بِالتَّحْرِيكِ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ. وَالنَّظْرُ أَيْضًا:
تَقْلِيْبُ الْبَصِيرَةِ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَرُؤْيِيَتِهِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ التَّأْمُلُ وَالْفَحْصُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَعْرِفَةُ الْحَاصِلَةُ
بَعْدَ الْفَحْصِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ} (٤٠) أَي تَأْمَلُوا.
وَاسْتِعْمَالُ النَّظْرِ فِي الْبَصْرِ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالًا عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَفِي الْبَصِيرَةِ أَكْثَرَ عِنْدَ الْخَاصَّةِ،
وَيُقَالُ: نَظَرْتُ إِلَى كَذَا: إِذَا مَدَدْتُ طَرْفَكَ إِلَيْهِ رَأَيْتَهُ أَوْ لَمْ تَرَهُ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ: إِذَا رَأَيْتَهُ وَتَدَبَّرْتَهُ، قَالَ
تَعَالَى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} (٤١). وَنَظَرْتُ فِي كَذَا: تَأْمَلْتَهُ / قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ
يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٤٢) يُرَادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى تَأْمُلِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهَا (٤٣).
وَيُقَالُ: نَظَرَ لَهُمْ بِمَعْنَى رَثَى لَهُمْ وَأَعَانَهُمْ، وَنَظَرَ بَيْنَهُمْ: حَكَمَ، النَّظْرُ: الْفِكْرُ فِي الشَّيْءِ
تَقْدِيرُهُ وَتَقْيِيسُهُ مِنْكَ، وَالنَّظْرَةُ: اللَّمْحَةُ بِالْعَجَلَةِ، وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: مَنْ لَمْ يَعْمَلْ نَظْرَهُ لَمْ يَعْمَلْ لِسَانَهُ،
مَعْنَاهُ: مَنْ لَمْ يَرْتَدِعْ بِالنَّظْرِ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ ذَنْبِ أَذْنِبِهِ لَمْ يَرْتَدِعْ بِالْقَوْلِ (٤٤).
وَالنَّظْرُ يَقَعُ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالْمَعَانِي، فَمَا كَانَ بِالْأَبْصَارِ فَهُوَ لِلْأَجْسَامِ وَمَا كَانَ بِالْبَصَائِرِ كَانَ
لِلْمَعَانِي (٤٥).

الفرق بين النظر والرؤية

أَنَّ النَّظْرَ طَلَبُ الْهُدَى وَالشَّاهِدِ قَوْلِهِمْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ عِيْسَى النَّظْرُ طَلَبُ
ظُهُورِ الشَّيْءِ وَالنَّاظِرُ الطَّالِبُ لظُهُورِ الشَّيْءِ وَاللَّهُ نَاطِرٌ لِعِبَادِهِ بِظُهُورِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، أَنَّ النَّظْرَ تَقْلِيْبُ

(٣٧) نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي
العمرى القرشي الصغاني الحنفي (المتوفى: ٦٥٠هـ)، المحقق: د. علي حسين البواب، الناشر: مكتبة
المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١/١٩٨٢، ٤٠/٤٣.

(٣٨) سورة النبأ: ٤٠.

(٣٩) سورة الأنفال: ٦.

(٤٠) سورة يونس: ١٠١.

(٤١) سورة الغاشية: ١٧.

(٤٢) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٤٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٥٢٤.

(٤٤) نضرة النعيم ٣٥١٧، ٣٥١٦/٨.

(٤٥) نضرة النعيم ٣٥١٥/٨.

العين حِيَال مَكَان المرئي طلبا لرؤيته والرؤية هي إدراك المرئي ولما كَانَ اللهُ تَعَالَى يرى الأشياء من حيثُ لَا يَطْلُب رويتها صَحَّ أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالنَّظَرِ (٤٦) .

تعددت المعاني للفظ النظر وما يهمني ويكون موضوع الكتاب لفظ النظر بمعنى التفكير والاعتبار والفكرة في حقائق الأشياء لاستخراج الحكم (بالاعتبار ليصل بذلك إلى العلم بالمعلومات، (نظر القلب) .

بعض الآيات القرآنية التي ورد فيه النظر بمعنى تقليب البصيرة لإدراك الشيء وهو متعلق بالقلب:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٧) .

ذكر الله تعالى قدرته في خلقه ووصف حاجتهم إليه، وما خلق من شيء سمعوه ولم يروه، فاعتبروا به، ولو شاهدوا ذلك بقلوبهم لآمنوا بالغيب، فأداهم الإيمان إلى مشاهدة الغيب الذي غاب عنهم، وورثوا درجات الأبرار فصاروا أعلاما للهدى (٤٨).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله، في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيهه، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه (٤٩). حثهم على النظر المؤدي إلى العلم (٥٠) .

قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (٥١) (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا) عَجَبٌ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظْرِ فِي آيَاتِهِ، لِيَعْرِفُوا كَمَالَ قُدْرَتِهِ (٥٢) .

(٤٦) الفروق اللغوية للعسكري ٧٦/١.

(٤٧) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٤٨) تفسير التستري ٧٠/١.

(٤٩) تفسير الطبري ٢٩٠/١٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٦٥٧/٤، تفسير السمعاني ٢٣٧/٢.

(٥٠) زاد المسير ١٧٤/٢، تفسير الرازي ٤٢٠/١٥.

(٥١) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٥٢) تفسير القرطبي ٣٣٠/٧.

أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا نَظْرَ اسْتِدْلَالٍ (٥٣)، الْمُرَادُ التَّأْمُلُ بِتَدْبِيرٍ (٥٤). وَ النَّظْرُ هُنَا: تَقْلِيْبُ الْبَصِيْرَةِ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ، وَ نَظْرُ الْقَلْبِ يَتَعَدَّى بِ فِي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٥٥).

وَالنَّظْرُ: نَظْرُ الْعَيْنِ الْمُفِيدِ الْإِعْتِبَارَ بِدَقَائِقِ الْمَنْظُورِ، وَتَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ (إِلَى) تَنْبِيْهُ عَلَى إِمْعَانِ النَّظْرِ لِيَشْعُرَ النَّاطِرُ مِمَّا فِي الْمَنْظُورِ مِنَ الدَّقَائِقِ (٥٦)، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ} نَظْرَ تَأْمُلٍ وَاعْتِبَارٍ {إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ} عَلَى هَذَا النِّحْوِ الْعَجِيبِ (٥٧).

ان هذه المشاهد معروفة لنظر الانسان حيثما كان: الحيوان والسماء والأرض والجبال. وأياً ما كان حظ الانسان من العلم والحضارة فهذه مشاهد داخلية في عالمه وإدراكه. ويدكرنا الله تعالى بأن ننظر ونعتبر بهذه القدرة الخارقة والتدبير المحكم (٥٨). أفلا ينظرون: أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار (٥٩). ليستدلوا بما فيها من العبر على قدره الله تعالى ووحدانيته (٦٠). فخصت هذه الأشياء بالذكر؛ ليعتبروا بها، ويتدبروا (٦١). النظر هنا بمعنى الإعتبار والتأمل (٦٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٦٣).

(فسيروا في الأرض فانظروا) الذهاب إلى آثار الأمم المهلكة لغاية الاعتبار ينمي الخوف من الله سبحانه في قلوب المعترين (٦٤).

أَمَّا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: "وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (٦٥)، فالمراد بالنظر - كما يقول

القرطبي:

(٥٣) تفسير البيضاوي ٤٤/٣، تفسير النسفي ٦٢١/١، اللباب في علو الكتاب ٤٠٦/٩، تفسير السعدي ٣١٠/١، التفسير القرآني للقرآن ٥٣٠/٥.

(٥٤) التحرير والتنوير ١٩٦/٩.

(٥٥) سورة الغاشية: ١٧.

(٥٦) التحرير والتنوير ٣٠٤/٣٠، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥١٧/٨.

(٥٧) أوضح التفاسير ٧٤٦/١.

(٥٨) تيسير التفسير للقطن ٤٣٠/٣.

(٥٩) أيسر التفاسير للجزائري ٥٦٢/٥، تفسير البيضاوي ٣٠٨/٥.

(٦٠) تفسير الماوردي ٢٦٢/٦.

(٦١) تفسير الماتريدي ٥١١/١٠.

(٦٢) نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (المتوفى: ٦٥٠هـ)، المحقق: د. علي حسين البواب، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١/١٩٨٢، ٤١.

(٦٣) سورة النحل: ٣٦.

(٦٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٧٣/١.

(٦٥) سورة الأعراف: ١٩٨.

فتح العينين إلى المنظور إليه، أي وتراهم (أي الأصنام) كالتأظر إليك وقيل كانت لهم أعين من جواهر مصنوعة فلذلك قال: وتراهم ينظرون، وقيل المراد بذلك المشركون، أخبر عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم ، إذ يراد منه الحث على تأمل حكمته في خلقها، (٦٦).
 قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦٧) قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ من الدلائل: من الشمس، والقمر، والنجوم، وما في الأرض، من الجبال، والبحار، والأشجار، والشمار، فاعتبروا به(٦٨)؛ ففِي هَذِهِ آيَاتٍ وَحُجَجٍ عِظَامٍ {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} إِذَا لَمْ يَقْبَلُوهَا، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا(٦٩). الأدلة- وإن كانت ظاهرة- فما تغني إذا كانت البصائر مسدودة، كما أن الشمس- وإن كانت طالعة- فما تغني إذا كانت الأبصار عن الإدراك بالعمى مردودة(٧٠) ، أَمْرٌ لِلْكَفَّارِ بِالْإِعْتِبَارِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَصْنُوعَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّانِعِ وَالْقَادِرِ عَلَى الْكَمَالِ(٧١).
 قُلْ أَنْظُرُوا أَي تَفَكَّرُوا(٧٢). {قُلْ أَنْظُرُوا} نظر استدلال واعتبار {مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} من الآيات والعبر(٧٣) ، النظر هنا قليلاً فيعدى ب «في»(٧٤).
 النظر طلب معرفة الشيء من جهته وجهة غيره، فالنظر بالبصر الإقبال به نحو المبصر، والنظر بالقلب الإقبال بالفكر نحو المفكر فيه.
 والنظر تقليب العين حيال مكان المرئي طلباً لرؤيته والرؤية هي إدراك المرئي، فالنظر يسبق البصيرة فالنظر والبصر بالعين للأشياء، تعقبه البصيرة نظر استدلال ، و نَظَرَ التَّأْمُلُ بِتَدَبُّرٍ، و تقليب البصيرة لإدراك الشيء.
 الفكر جنس من النظر الذي هو سبب العلم(٧٥).

(٦٦) نضرة النعيم ٣٥١٥/٨.

(٦٧) سورة يونس: ١٠١.

(٦٨) تفسير السمرقندي ١٣٤/٢.

(٦٩) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢٧٤/٢.

(٧٠) لطائف الإشارات ١١٧/٢، تفسير السمعاني ٤٠٧/٢، تفسير الزمخشري ٣٧٣/٢، تفسير ابن

عطية ١٤٥/٣، إيجاز البيان عن معاني القرآن ٤٠٥/١..

(٧١) تفسير القرطبي ٣٨٦/٨.

(٧٢) تفسير البيضاوي ١٢٥/٣.

(٧٣) تفسير النسفي ٤٣/٢، تفسير ابن جزي ٣٦٣/١.

(٧٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٧١/٦.

(٧٥) معجم الفروق اللغوية ٢٠٩/١.

الفرق بين النظر والفكر : أن النظر يكون فكرا(٧٦)، والنظر بالقلب من جهة التفكير ، والنظر أيضا هو الفكر والتأمل لأحوال الأشياء فالناظر على هذا الوجه لا بد ان يكون مفكرا والمفكر على هذا الوجه يسمى ناظرا(٧٧).

لاشك أن العلم الحاصل عقيب النظر أمر ممكن متكرر ، فيكون مستند إليه بطريق العادة، فيقال : النظر صادر بإيجاد الله وموجب للعلم بالمنظور فيه إيجابا عقليا بحيث يستحيل أن ينفك عنه.

(٧٦) السابق ١/٥٤٤ .

(٧٧) نفسه ١/٥٤٣ .

المبحث الثاني: البصر

الجذر اللغوي: (ب ص ر)

ورد البصر في القرآن الكريم بصيغ عديدة، ومعاني مختلفة (بصر القلب، وبصر العين، والبصر بالحجة، والاعتبار)، وما سأتناوله الصيغة التي تحمل معنى بصر القلب (بصيرته).

البصر لغة: بصر: البَصْرُ: العَيْنُ، مذكّر، والبَصْرُ: نفاذ في القلب. وقد بَصُرَ، و**ابصرتُ** الشيءَ وتَبَصَّرْتُ به، وتَبَصَّرْتُهُ: شَبَّهَ رَمَقْتُهُ. واستَبَصَّرَ في أمره ودينه إذا كان ذا بصيرة. والبصيرةُ اسمٌ لما اعتُقد في القلب من الدِّينِ وحَقِيقِ الأمرِ (٧٨). وفَلَانٌ حسن البصيرة إذا كان مستبصراً في دينه (٧٩). والبصيرةُ: العِبْرَةُ، يُقَالُ: أما لك بصيرةٌ في هذا؟ أي: عِبْرَةٌ تَعْتَبَرُ بِهَا (٨٠). [بصر] البصرة: حاسة الرؤية. وأبصرت الشيء: رأيته. والبصير: خلاف الضرير (٨١). والبصْرُ: العلم بالشيء، وهو بصير به، والبصيرةُ: البرهان والاستبصار في الشيء، وكله من الوضوح (٨٢)، ويُقَالُ: بَصُرْتُ بالشيءِ: إِذَا صِرْتَ بِهِ بَصِيرًا عَالِمًا، وَأَبْصَرْتُهُ: إِذَا رَأَيْتُهُ (٨٣).
البصر اصطلاحاً: البَصْرُ حِسُّ العَيْنِ والجمع أَبْصَارٌ (٨٤)، الفرق بين العين والبصر: أن العين آلة البصر وهي الحدقة، والبصر اسم للرؤية ولهذا يقال إحدى عينيه عمياء ولا يقال أحد بصريه أعمى، وربما يجري البصر على العين الصحيحة مجازاً ولا يجري على العين العمياء فيدل هذا على أنه اسم للرؤية على ما ذكرنا، ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلياً بصراً، يقال لك فيه بصر يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك (٨٥). وعمى الأبصار أهون من عمى البصائر (٨٦).
والبصيرة: هي قوة في القلب تدرك بها المعقولات.

(بَصْر)

— فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الْبَصِيرُ» .

هُوَ الَّذِي يُشَاهِدُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا ظَاهِرًا وَخَافِيًا بِغَيْرِ جَارِحَةٍ. وَالْبَصْرُ فِي حَقِّهِ عِبَارَةٌ عَنِ الصِّفَةِ الَّتِي يَنْكَشِفُ بِهَا كَمَالُ نُعُوتِ الْمُبْصِرَاتِ (٨٧).

(٧٨) العين ١١٧/٧.

(٧٩) جمهرة اللغة ٣١٢/١.

(٨٠) تهذيب اللغة ١٢٥/١٢.

(٨١) الصحاح تاج اللغة ٥٩١/٢.

(٨٢) مجمل اللغة لابن فارس ١٢٧/١.

(٨٣) مقاييس اللغة ٢٥٤/١.

(٨٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣١٥/٨، كتاب الأفعال ٧٢/١.

(٨٥) معجم الفروق اللغوية بترتيب وزيادة ٣٨١/١.

(٨٦) أساس البلاغة ٦٢/١.

(٨٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣١/١.

ورود البصر في القرآن على وجوه^(٨٨):

بصر النظر والحجة: {فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً} (٨٩) ، وبصر الأدب، والحرمة: {ما زاع البصر وما طغى} (٩٠) ، وبصر للتعجيل والسرعة: {وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر} (٩١) ، وبصر الحيرة والحسرة: {فإذا برق البصر} (٩٢) ، وبصر للعمى في الكفر، والجهالة: {وجعل على بصره غشاوة} (٩٣) ، وبصر السؤال عن المعصية، والطاعة: {إن السمع والبصر والفؤاد} (٩٤) ، وبصر في عدم الفائدة والمنفعة: {فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم} (٩٥) ، وبصر للغي والغفلة: {أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم} (٩٦) ، وبصر للغطاء واللعنة: {فأصمهم وأعمى أبصارهم} (٩٧) ، وبصر لإبعاد المنكرين عن اللقاء والرؤية: {لا تدركه الأبصار} (٩٨) ، وبصر للختم والخسارة: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم} (٩٩) وبصر للنظر والعبرة: {فاعتبروا يا أولي الأبصار} (١٠٠).

بصيرة في البصيرة

وهي قوة القلب المدركة. ويقال لها: بصر أيضاً: قال الله - تعالى - : {ما زاع البصر وما طغى} وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر. ولا يكاد يقال للجراحة الناضرة بصيرة؛ إنما هي بصر؛ نحو {كلمح بالبصر} ويقال للقوة التي فيها أيضاً: بصر. ويقال منه: أبصرت، ومن الأول: أبصرته، وبصرت به. وقلما يقال في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب: بصرت. ومنه {أدعوا إلى الله على بصيرة} أي على معرفة وتحقق. وقوله: {بل الإنسان على نفسه بصيرة} أي عليه من جوارحه بصيرة، فتبصره وتشهد عليه يوم القيامة (١٠١).

(٨٨) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٤.

(٨٩) سورة تبارك: ٣.

(٩٠) سورة النجم: ١٧.

(٩١) سورة القمر: ٥٠.

(٩٢) سورة القيامة: ٧.

(٩٣) سورة الجاثية: ٢٣.

(٩٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٩٥) سورة الأحقاف: ٢٦.

(٩٦) سورة النحل: ١٠٨.

(٩٧) سورة محمد: ٢٣.

(٩٨) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٩٩) سورة البقرة: ٧.

(١٠٠) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٤.

(١٠١) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٢.

والبصيرة: عقيدة القلب، وقيل هي اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر، وقيل: هي الفطنة، وقيل: هي الثبات في الدين، وقولهم: فعل ذلك علي بصيرة أي على عمد، وعلى غير بصيرة أي على غير يقين ويقال:

تبصّر في رأيه واستبصر: تبين ما يأتيه من خير وشرّ، أمّا قولهم: استبصر في أمره ودينه، فمعناه: كان ذا بصيرة، أمّا قوله سبحانه (في عاد وثمود) "وكانوا مُسْتَبْصِرِينَ" (١٠٢)، فمعناه: أنهم أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أنّ عاقبته عذابهم .

وقال القرطبي: في ذلك قولان (آخران) أحدهما: كانوا مستبصرين في الضلالة ، والآخر: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحقّ من الباطل بظهور البراهين، وهذا القول أشبه، لأنّه إنّما يقال: فلان مستبصر إذا عرف الشّيء على الحقيقة، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم .

البصيرة: ولا يكاد يقال للجارحة الناظرة بصيرة، إنّما هي بصر، وقول الله عزّ وجلّ: "أدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ" (١٠٣)، فالمعنى: على معرفة وتحقّق، أمّا قوله سبحانه: "بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ" (١٠٤)، فالمعنى عليه من جوارحه بصيرة تبصره وتشهد عليه يوم القيامة، وقيل جعله على نفسه بصيرة كما يقال: فلان جود لأنّ الإنسان ببديهة عقله يعلم أنّ ما يقربه إلى الله هو السعادة، وما يبعده عن طاعته هو الشقاوة، وقيل الهاء (أي التاء) في بصيرة للمبالغة، (والمعنى أنّ الإنسان بصير على نفسه بدرجة تشرف على الغاية) ، جاء تأنيث البصيرة لأنّ المراد بالإنسان هنا الجوارح لأنّها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنّه قال: بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ، أمّا جعل آية النهار مبصرة في قوله سبحانه: "وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً" (١٠٥)، فالمعنى: صار أهله بصراء ، وقيل: منيرة أو مضيئة، يبصر فيها ، والمستبصر في حديث أمّ سلمة «أليس الطّريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستبصر والمجبور» يقصد به: المستبين للشّيء، أي أنّهم كانوا على بصيرة من ضلالتهم، أرادت أنّ تلك الرّفقة قد جمعت الأخيار والأشرار(١٠٦) .

(١٠٢) سورة العنكبوت: ٣٨.

(١٠٣) سورة يوسف: ١٠٨.

(١٠٤) سورة القيامة: ١٤.

(١٠٥) سورة الإسراء: ١٢.

(١٠٦) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٢.

مادّة البصر في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزي: ذكر بعض أهل التفسير أنّ البصر في القرآن الكريم على أربعة أوجه:
الأول: البصر بالقلب ومنه قوله تعالى: "وَتَرَاهُمْ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (١٠٧) .
الثاني: البصر بالعين، ومنه قوله تعالى: "فَبَصَّرْكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا" (١٠٨).
الثالث: البصر بالحجّة، ومنه قوله تعالى: "لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا" (١٠٩) .
الرابع: البصر: الاعتبار، ومنه قوله تعالى: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (١١٠) ، أي تعتبرون وقد جعل بعضهم هذا الوجه من النوع الأوّل وهو البصر بالقلب (١١١).
التبصّر لغة:

التبصّر في اللغة مصدر قولهم: تبصّر الشيء إذا نظر إليه هل يعرفه؟ وهو مأخوذ من مادّة (ب ص ر) التي تدلّ على العلم بالشيء ، ومعناه: التأمّل والتعرّف، أمّا التبصير فهو التعريف والإيضاح، يقال: بصّره بالأمر تبصيرا وتبصرة فهّمه إياه، أمّا البصر فهو اسم لحاسة الإبصار، أي الرؤية (١١٢).

التبصّر اصطلاحاً: فلم يرد ضمن ما أوردته كتب المصطلحات - ومن ثمّ فإنّه يكون باقياً على أصل استعماله في اللغة، من أنّ التبصّر هو النظر إلى الشيء بقصد معرفته ، وأنّ تبصّر واستبصر بمعنى، يقال تبصّر في رأيه واستبصر: تبين ما يأتيه من خير وشرّ، وتأمّلنا أيضاً ما ذكره القرطبيّ من أنّ الاستبصار هو معرفة الشيء على الحقيقة (من خلال البراهين) ، وأنّ الألف والسين والتاء تدلّ على الطّلب (وهذا هو المعنى الصّرفيّ للصّيغة) ؛ إذا كان الأمر كذلك فإنّه يمكن تعريف التبصّر من خلال ما ذكره اللّغويّون والمفسّرون بالقول:

التبصّر: طلب معرفة الأمور على حقيقتها من خلال البراهين الحسيّة التي يمكن للعين رؤيتها وللبصيرة .

(أي قوّة القلب المدركة) تأملها واعتقاد صحتها(١١٣)..

(١٠٧) سورة الأعراف: ١٩٨.

(١٠٨) سورة ق: ٢٢.

(١٠٩) سورة طه: ١٢٥.

(١١٠) سورة الذاريات: ٢١.

(١١١) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٤.

(١١٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٢٢.

(١١٣) نضرة النعيم ٨/٣٥١٦، ٣٥١٧.

وهذه خطوة نحو تحقيق النظر بمعناه الأخير الذي ذكره الفيروز ابادي، أما المعنيان الأولان للنظر وهما:

تقليب البصيرة، والتأمل والفحص فهما من أعمال العقل الخالصة، ولهذا فقد ربطنا بين الأمرين النظر والتبصر لأن كلا منهما لا يعني عن الآخر من ناحية، ولأن الناس مختلفون في قدراتهم من ناحية ثانية، فهناك من قويت بصائرهم ويستطيعون من خلالها تحقيق المعرفة واليقين المطلوبين، وهناك من لم يزودوا بمثل هذه القوة، وهؤلاء عليهم النظر في البراهين الحسية التي توصلهم إلى الغاية المطلوبة.

والخلاصة أن بين الأمرين (النظر والتبصر) تكاملا وهما معا يسدان حاجة جميع الناس على اختلاف عقولهم، فالنظر (العقلي) قد يكفي به البعض، أما البعض الآخر فعليه أن يطلب المعرفة (وخاصة ما يتعلق بمعرفة الله عز وجل) من خلال رؤيته لعجائب الصنعة وعظيم الإتقان فيها، وفي ضوء ذلك نستطيع أن نصوغ تعريفا للأمرين معا على النحو التالي:

النظر والتبصر: تقليب البصيرة لإدراك حقائق الأشياء ومعرفتها بعد التأمل فيها وفحصها وطلب ذلك من خلال البراهين الحسية المشاهدة (١١٤).

بعض الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ البصر بمعنى البصيرة:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَاتِي فَتَنَّا فَبَدَّلْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١١٥).

{قد كان لكم آية} علامة تدلُّ على صدق محمدٍ عليه السلام {في فتنتين} يعني: المسلمين والمشركين {التقتا} اجتمعتا يوم بدرٍ للقتال {فتنةٌ تقاتل في سبيل الله} وهم المسلمون {وأخرى كافرة يرونهم مثلهم} وهم كانوا ثلاثة أمثالهم ولكن الله تعالى قللهم في أعينهم وأراهم على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم وذلك أن الله عز وجل كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار {رأي العين} أي: من حيث يقع عليهم البصر {والله يؤيد} يقوي {بنصره} بالغلبة والحجة من يشاء {إن في ذلك لعبرة} وهي الآية التي يُعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم {لأولي الأبصار} لذوي العقول (١١٦)، {إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار} أي:

(١١٤) نضرة النعيم ٣٥١٨/٨.

(١١٥) سورة آل عمران: ١٣.

(١١٦) الوجيز للواحد ٢٠٠/١.

علامة لأولى البصائر في الدين، ولدوي العُقُول أَجْمَعِينَ (١١٧). وقوله (لأولى الأبصار) فإنه يعني به البصائر لا الجارحة (١١٨) .

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١١٩).

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} الضمير في فإنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الأبصار أي فما عميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار ، وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب (١٢٠).

{فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} أَضَافَ الْعَقْلَ إِلَى الْقَلْبِ لِأَنَّهُ مَحَلُّهُ كَمَا أَنَّ السَّمْعَ مَحَلُّهُ الْأُذُنُ، (وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) أَي عَنْ دَرْكِ الْحَقِّ وَالْإِعْتِبَارِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْبَصَرُ النَّاطِرُ جُعِلَ بُلْغَةً وَمَنْفَعَةً، وَالْبَصَرُ النَّافِعُ فِي الْقَلْبِ (١٢١).
قال تعالى: ﴿..... فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (١٢٢) .

والاعتبار: مأخوذ هنا من العبور والمجاورة من شيء إلى شيء ، ولهذا قال المفسرون: الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: {يا أولى الأبصار} .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يريد أهل اللب والعقل والبصائر (١٢٣) . أي: البصائر النافذة، والعقول الكاملة (١٢٤). وهذا ما لا يراه إلا أصحاب الأبصار النافذة إلى حقائق الأمور، وإلى مواقع العبرة والعظة منها (١٢٥).

(١١٧) تفسير السمعاني ٢٩٩/١ .

(١١٨) تفسير الراغب ٤٤٨/٢ ، تفسير البيضاوي ٨/٢ ..

(١١٩) سورة الحج: ٤٦ .

(١٢٠) تفسير النسفي ٤٤٦/٢ .

(١٢١) تفسير القرطبي ٧٧/١٢ .

(١٢٢) سورة الحشر: ٢ .

(١٢٣) اللباب في علوم الكتاب ٥٦٧/١٨ ، ٥٦٨ .

(١٢٤) تفسير السعدي ٨٤٨/١ .

(١٢٥) التفسير القرآني للقرآن ٨٥١/١٤ .

البصيرة تكون بعد النظر في خلق الله، فيتبعه البصيرة وهي طلب معرفة الأمور على حقيقتها من خلال البراهين الحسيّة التي يمكن للعين رؤيتها وللبصيرة (أي قوّة القلب المدركة) تأملها واعتقاد صحّته.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٢٦).

عَطْفٌ عَلَى فِي الْأَرْضِ . فَالْتَفِيدُ: وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٌ أَفَلَا تُبْصِرُونَ .
وَالْخَطَابُ مُوجَّهٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ . وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عَدَمَ الْإِبْصَارِ لِلآيَاتِ .
وَالِإِبْصَارُ مُسْتَعَارٌ لِلتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، أَي كَيْفَ تَتَرَكُونَ النَّظَرَ فِي آيَاتِ كَائِنَةٍ فِي أَنْفُسِكُمْ .
وَتَقْدِيمُ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ لِلاِهْتِمَامِ بِالنَّظَرِ فِي خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَلِلرَّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ .
وَالْمَعْنَى: أَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ: كَيْفَ أَنْشَأَكُمُ اللَّهُ مِنْ مَاءٍ وَكَيْفَ خَلَقَكُمُ أَطْوَارًا،
أَلَيْسَ كُلُّ طَوْرٍ هُوَ إِبْجَادٌ خَلَقَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلُ . فَالْمَوْجُودُ فِي الصَّبِيِّ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِيهِ
حِينَ كَانَ جَنِينًا . وَالْمَوْجُودُ فِي الْكَهْلِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِينَ كَانَ غُلَامًا وَمَا هِيَ عِنْدَ التَّأَمُّلِ إِلَّا
مَخْلُوقَاتٌ مُسْتَجَدَّةٌ كَانَتْ مَعْدُومَةً فَكَذَلِكَ إِنْهَاؤُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمَوْتِ .

وَهَذَا التَّكْوِينُ الْعَجِيبُ كَمَا يَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِ الْإِبْجَادِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَدُلُّ عَلَى تَفَرُّدِ مُكُونِهِ تَعَالَى
بِالْإِلَهِيَّةِ إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِبْجَادِ مِثْلِ الْإِنْسَانِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ بَوَاطِنَ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ وَظَوَاهِرَهَا
عَجَائِبُ مِنَ الْإِنْتِظَامِ وَالتَّنَاسُبِ وَأَعْجَبُهَا خَلْقُ الْعَقْلِ وَحَرَكَاتِهِ وَاسْتِخْرَاجُ الْمَعَانِي وَخَلْقُ النَّطْقِ
وَالِإِلْهَامِ إِلَى اللُّغَةِ وَخَلْقُ الْحَوَاسِّ وَحَرَكَةُ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ وَالتَّنَسُّقُ الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسَةِ وَتَفَاعُلُهَا
وَتَسْوِيَةُ الْمَفَاصِلِ وَالْعَضَلَاتِ وَالْأَعْصَابِ وَالشَّرَاطِينِ وَحَالِهَا بَيْنَ الْإِرْتِيخَاءِ وَالْيَبْسِ فَإِنَّهُ إِذَا غَلَبَ
عَلَيْهَا التَّيْبُسُ جَاءَ الْعَجْزُ وَإِذَا غَلَبَ الْإِرْتِيخَاءُ جَاءَ الْمَوْتُ (١٢٧) .

«وَفِي أَنْفُسِكُمْ» أيها الناس آيات جليلة وعظيمة وعظمت كبيرة «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ٢١ إِبْصَارِ
ناظر مدقق ونظر مبصر محقق يستعين بعين بصره على عين بصيرته فيتعظ بما انطوى عليه جسمه
من البراهين الدالة على الخالق إذ ليس في العالم من شيء إلا وفي ذات الإنسان له نظير، وذلك
مثل انفراده في هذه الهيئة النافعة والمناطر البهية والتركيبات العجيبة، والتمكن من الأفعال
البدیعة واستنباط الصنایع المختلفة (١٢٨).

(١٢٦) سورة الذاريات: ٢٠، ٢١ .

(١٢٧) التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٦، ٣٥٤ .

(١٢٨) بيان المعاني ١٤٦/٤، أوضح التفاسير ١/٦٤١ ..

والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية وتبصرون فعل مضارع مرفوع (١٢٩).

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٣٠).

"بصائر من ربكم"، أي: ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر. وهي جمع "بصيرة"، يعني بالبصيرة: الحجة البينة الظاهرة.

قال ابن زيد، في قوله: "قد جاءكم بصائر من ربكم" قال: "البصائر" الهدى، بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرؤوس. وقرأ: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (١٣١)، وقال: إنما الدين بصره وسمعه في هذا القلب (١٣٢).

وقوله: "فمن أبصر فلنفسه" يقول: فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر بها، وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل (١٣٣).

والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر (١٣٤).

و«البصائر» جمع بصيرة وهي ما يتفق عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها، بالاعتبار، فكأنه قال قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحق والمعينة عليه، والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين، والبصيرة أيضا هي المعتقد المحصل (١٣٥).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٣٦).

(بصائر): البصيرة: العقل والفتنة والعبرة والشاهد والحجة يقال: جوارحه بصيرة عليه أي شهود وفسادة ذات بصيرة أي صادقة والجمع بصائر وقوله «بصائر للناس» أي أنوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بها بين الحق والباطل بعد أن كانت عميا عن الفهم والإدراك بالكلية فالبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر (١٣٧).

(١٢٩) إعراب القرآن وبيانه ٣٠٨/٩، الجدول في إعراب القرآن ٣٢٨/٢٦، إعراب القرآن للدعاس ٢٦٣/٣.

(١٣٠) سورة الأنعام: ١٠٤.

(١٣١) سورة الحج: ٤٦.

(١٣٢) تفسير الطبري ٢٤/١٢.

(١٣٣) السابق ٢٥/١٢.

(١٣٤) تفسير الزمخشري ٥٥/٢.

(١٣٥) تفسير ابن عطية ٣٣١/٢.

(١٣٦) سورة القصص: ٤٣.

(١٣٧) إعراب القرآن وبيانه ٣٣٧/٧.

{بَصَائِرِ لِلنَّاسِ} أي أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميزُ بين الحقِّ والباطلِ حيثُ كانتْ
عُمياً عن الفهم والادراك بالكُلِّيَّةِ فَإِنَّ البصيرةَ نورُ القلبِ الذي به يستبصرُ كما أَنَّ البصرَ نورُ العينِ
الذي به تبصرُ {وهدى} أي هدايةً إلى الشَّرَائِعِ والاحكامِ التي هي سُبُلُ الله تعالى {وَرَحْمَةً} حيثُ
ينالُ من عملٍ به رحمةُ الله تعالى (١٣٨)

بصائر: واحدها بصيرة، وهي نور القلب الذي يميز بين الحق والباطل (١٣٩).

التذكير بأحوال الأمم الخالية، ليكون في ذلك عبرة للناس، ونور لقلوبهم، تبصر به الحقائق،
وتميز لحق من الباطل، بعد أن كانوا في عماية عن الفهم والإدراك، وتهديهم إلى ما يوصلهم إلى
القرب من ربهم، ونيل رضوانه ومغفرته ورحمته، ليتذكروا نعم الله عليهم فيشكروه عليها، ولا
يكفروا بها (١٤٠).

وقوله تعالى: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» - الضمير في لعلمهم، يعود إلى الناس في قوله تعالى:

«بَصَائِرِ لِلنَّاسِ» .. وفي هذا إشارة من بعيد إلى المشركين من قريش (١٤١).

وَالْبَصَائِرُ: جَمْعُ بَصِيرَةٍ، وَهِيَ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ. سُمِّيَ بَصِيرَةً اشْتِقَاقًا مِنْ بَصَرَ الْعَيْنِ، وَجُعِلَ
الْكِتَابُ بَصَائِرٍ بِاعْتِبَارِ عِدَّةِ دَلَائِلِهِ وَكَثْرَةِ بَيِّنَاتِهِ، وَضَمِيرُ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ عَائِدٌ إِلَى النَّاسِ الَّذِينَ
خُوطِبُوا بِالتَّوْرَةِ، أَي فَكَذَلِكَ إِرسَالُ مُحَمَّدٍ لَكُمْ هُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ (١٤٢).
فالبصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء (١٤٣).

(١٣٨) تفسير أبي السعود ١٥/٧.

(١٣٩) تفسير المراغي ٥٩/٢٠.

(١٤٠) السابق ٦٣/٢٠، تفسير السعدي ٦١٦/١.

(١٤١) التفسير القرآني للقرآن ٣٥٢/١٠.

(١٤٢) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٠.

(١٤٣) معجم الفروق اللغوية ١٠٢/١.

المبحث الثالث: الرؤية

الجذر اللغوي: (ر أ ي)

ألفاظ هذا الجذر: تعددت الصيغ للفظ، وتنوعت معانيه، وما سأتناوله هو الرؤية القلبية .
الرؤية لغة: رأي: الرأي: رأي القلب، ويُجمع على الآراء، تقول: ما أضلَّ آراءهم، على التعجب و (راءهم) أيضا. ورأيت بعيني رؤيةً. ورأيتُه رأيَ العين، أي: حيث يقع البصرُ عليه.
وتقول من رأي القلب: ارتأيت (١٤٤)، [رأى] الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين. يقال: رأى زيدا عالِمًا. والرأي معروف، وجمعه آراءٌ وآراءٌ أيضًا مقلوب، ويقال أيضا: به رأيي من الجن، أي مسّ. ويقال: رأى في الفقه رأياً (١٤٥).

وأرأيتُه الشيءَ فرآه، وأصله أرأيتُهُ. وارْتَأَهُ: افْتَعَلَ من الرأي والتدبير^(١٤٦).
الرؤية اصطلاحاً: الرؤية: المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة (١٤٧). الرُّؤية:
النَّظْرُ بِالْعَيْنِ وَبِالْقَلْبِ (١٤٨).

بصيرة في الرؤية

وهي النظر بالعين، وبالقلب. رأيتُه رُؤيةً ورأياً وراءَةً ورأيةً ورئياً، وارْتَأَيْتُه، واسترأيتُهُ. واسترأه: استدعى رؤيته. ونحذف الهمزة في مضارع رأى فيقال: يرى.
والرؤية تختلف بحسب قُوى النَّفس: الأول بالحاسة وما يجري مجارها، قال تعالى:
{فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ} (١٤٩) ، وهذا ممَّا أُجرى مُجرى الرؤية بالحاسة، فإنَّ الحاسة لا تصحَّ على الله تعالى. والثاني: بالوهم والتخييل، نحو: أرى أنَّ زيدا منطلق. والثالث بالتفكير: {إني أرى ما لا ترون} (١٥٠) والرابع بالعقل، نحو: {ما كذب الفؤاد ما رأى} (١٥١) ، وعلى ذلك حُمل قوله تعالى: {وَلَقَدْ رآه نَزْلَةً أُخْرَى} (١٥٢). ورأى إذا عُدى إلى مفعولين اقتضى معنى العلم.

(١٤٤) العين ٣٠٧/٨.

(١٤٥) الصحاح تاج اللغة ٢٣٤٧/٦.

(١٤٦) السابق ٢٣٤٨/٦، المحكم والمحيط الاعظم ٣٣٨/١٠، لسان العرب ٢٩٩/١٤...

(١٤٧) التعريفات ١٠٩/١.

(١٤٨) القاموس المحيط ١٢٨٥/١.

(١٤٩) سورة التوبة: ١٠٥.

(١٥٠) سورة الأنفال: ٤٨.

(١٥١) سورة النجم: ١١.

(١٥٢) بصائر ذوي التمييز ١١٦/٣.

والرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله تعالى: {يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} (١٥٣) ، أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثلهم، تقول: فعل ذلك رأى عين. الرؤية والتروية: التفكير في الشيء، والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي. والمرئي: المتفكر.

وإذا عدى رأيت بإلي اقتضى معنى النظر المؤدى إلى الاعتبار، نحو: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} (١٥٤) ، وقوله: {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} (١٥٥) أي بما علمك وعرفك (١٥٦).

رؤية القلب أعظم وأفضل من رؤية البصر، لأن رؤية البصر مؤقتة، ورؤية القلب دائمة (١٥٧).

الرؤية في الأصل: إدراك المرئي بالعين (١٥٨).
وذكر أهل التفسير أن الرؤية في القرآن على ستة أوجه:

أحدها: النظر والمعانية. ومنه قوله تعالى في الزمر: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوُودَةٌ} (١٥٩) .

وفي المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَبَكْ أَجْسَامَهُمْ} (١٦٠) ، وفي هل أتى: {وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا} (١٦١) .

والثاني: العلم. ومنه قوله تعالى في البقرة: {وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا} (١٦٢) ، أي: علمنا، وفي سورة النساء: {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} (١٦٣) ، وفي الأنبياء: {أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا [ففتقناهما] } (١٦٤) ، وفي سبأ: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} (١٦٥) ، وفي نوح: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتِ طَبَاقًا} (١٦٦) .

(١٥٣) سورة آل عمران: ١٣.

(١٥٤) سورة الفرقان: ٤٥.

(١٥٥) سورة النساء: ١٠٥.

(١٥٦) بصائر ذوي التمييز ٣/١١٧.

(١٥٧) معترك الأقران ٢/٣٩١.

(١٥٨) نزهة الأعين النواظر ١/٣١٩.

(١٥٩) سورة الزمر: ٦٠.

(١٦٠) سورة المنافقين: ٤.

(١٦١) سورة الإنسان: ٢٠.

(١٦٢) سورة البقرة: ١٢٨.

(١٦٣) سورة النساء: ١٠٥.

(١٦٤) سورة الأنبياء: ٣٠.

(١٦٥) سورة سبأ: ٦.

(١٦٦) سورة نوح: ١٥.

وَالثَّلَاثُ: الإِغْتِيَارُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي النَّحْلِ: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ} (١٦٧).

وَالرَّابِعُ: السَّمَاعُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْأَنْعَامِ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} (١٦٨).

وَالْخَامِسُ: التَّعَجُّبُ. وَمِنْهُ [قَوْلُهُ] تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ} (١٦٩) {وَفِيهَا} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} (١٧٠)، أَي: أَلَمْ تَعْجَبْ مِنْ هَؤُلَاءِ.

وَالسَّادِسُ: الإِخْبَارُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْبَقَرَةِ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي {وَمِثْلِهِ} {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} (١٧٢)، مَعْنَاهُ أَلَمْ تَخْبِرْ. وَأَلْحَقَ قَوْمَ هَذَا الْوَجْهَ وَالَّذِي قَبْلَهُ بِقِسْمِ الْعِلْمِ فَقَالُوا: مَعْنَاهُ أَلَمْ يَنْتَهَ عِلْمُكَ إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَقْصُودُ الْكَلَامِ أَعْرِفْهُمْ (١٧٣).
بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ الرُّوْيَةُ فِيهَا قَلْبِيَّةٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧٤)

. (أَلَمْ يَرَوْا) هَذَا الِاسْتِفْهَامُ إِنَّمَا هُوَ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي، فَكَأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَرُونَ هَذِهِ الطَّيُورَ الَّتِي تَحْلُقُ فِي السَّمَاءِ، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَرُونَهَا، فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

. وَقَرَأَ جَمْهُورُ الْقُرَّاءِ بِالْغِيْبَةِ (يَرَوْا)؛ وَذَلِكَ إِعْرَاضًا عَنِ الْمَشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ أَسْلُوبَ الْآيَةِ السَّابِقَةَ هُوَ أَسْلُوبُ الْخُطَابِ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٧٥).

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ (تَرَوْا) بِنَاءِ الْخُطَابِ عَلَى نَفْسِ أَسْلُوبِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ؛ وَذَلِكَ تَوْبِيخًا لِلْمَشْرِكِينَ.

(١٦٧) سورة النحل: ٧٩.

(١٦٨) سورة الأنعام: ٦٨.

(١٦٩) سورة النساء: ٤٩.

(١٧٠) سورة النساء: ٦٠.

(١٧١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(١٧٢) سورة الفيل: ١.

(١٧٣) نزهة الأعين النواظر ١/٣٢١.

(١٧٤) سورة النحل: ٧٩.

(١٧٥) سورة النحل: ٧٨.

(إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) (إن) للتأكيد على أن المؤمنين هم من يتعظون، وليسوا مثل الكفار.

- (لآيات) وليس "آية"؛ لأن في خلق جسم الطير مناسبا للطيران آيات، وفي خلق الخصائص المودعة في الجو آيات أخرى.

ومجال معرفة هذه الآيات هو دراسة الأبحاث العلمية عن الطيور وتحليقها، ومن طالع هذا المجال رأى الكثير الكثير من الآيات.

- (لقوم يؤمنون) لماذا يتعظ المؤمنون بما يرون؟

يتعظ المؤمنون بما يرون لأنهم يريدون الله جل في علاه، ويحرصون على الإيمان وعلى ما يزيد، ولذا يرون آيات الله الدالة عليه في كل شيء، حتى تلك الأشياء التي اعتاد البشر رؤيتها، وأغمضوا عيون قلوبهم عن التفكير فيها.

ومن عجيب الأمر أن قوم موسى - عليه السلام - انبهروا بما رأوا من خلق الحية من العصا، ولو تفكروا لرأوا ذلك في أبنائهم الذين يخلقون من النطف، ولرأوا ذلك في الدجاجة التي تخرج من البيضة الميتة.

فعلينا أن نتفكر فيما حولنا مما اعتدنا رؤيته، فإن اعتياد رؤية الشيء لا يلغي الاعتبار به، وإنما يتعامى من يتعامى، أعاذني الله وإياك من ظلمة القلب! (١٧٦).

وإذا عدى رأيت بالي اقتضى معنى النظر المؤدى إلى الاعتبار (١٧٧).

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧٨).

وحسب سياق الآيات، فإن هذه الآية خطاب للكفار المكذبين، مما يدل على أن ما سيظهر من الاكتشافات في الآفاق وفي الأنفس سيتحقق في معظمه على أيدي من لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، ولا بالقرآن ولا باليوم الآخر، حتى يكون ما يتوصلون إليه من الاكتشافات والسنن الكونية، برهانا وتبيانا على أن هذا الدين وحي من الله وشاهد على صدق القرآن وإعجازه، وعلى ما جاء به الوحي على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويصبح حجة على الكفار والمكذبين. وما يجري الآن في مجال الاكتشافات على يد غير المسلمين يؤكد ذلك. وقد يكون الخطاب في الآية السابقة عاما لكل البشر (١٧٩).

(١٧٦) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ١/١٥٩.

(١٧٧) بصائر ذوي التمييز ٣/١١٦.

(١٧٨) سورة فصلت: ٥٣.

(١٧٩) تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية ٦/١، ٧.

فاكتشاف الحقائق العلمية في الكون، وفي النفس الإنسانية دليل واضح بأن ما أنزل على محمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم حق لا مرية فيه لمن ينظر بعين باصرة، وعقل منفتح (١٨٠).

فليس من واجبنا، ولا يقع على عاتقنا أن نتبين جميع النصوص العلمية الواردة في الوحي المنزل من عند الله تعالى، وإنما علينا أن نبذل قصارى جهدنا، وما آتانا الله تعالى من علم لفهم النص قلنا به متوكلين على الله جل جلاله لبيان هذا الفهم (١٨١).

(سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) السين للاستقبال ونريهم فعل مضارع ومفعول به أول وآياتنا مفعول به ثان والرؤية هنا عدت إلى اثنين فقط، وفي أنفسهم عطف على في الآفاق (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) حتى حرف غاية وجر ويتبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وحتى وما بعدها متعلق بقوله سنريهم وأن وما في حيزها فاعل تبين (أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) الهمزة للاستفهام الإنكاري التويخي والواو حرف عطف على مقدر يقتضيه السياق أي ألم يغنهم ولم يكفهم (١٨٢).

الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين (١٨٣).
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (١٨٤).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية. لما بين جهل المعرضين عن دلائل التوحيد، وبين فساد طريقهم ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع، فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه، وتغير أحواله قوله: «ألم تر» فيه وجهان: أحدهما: أنه من رؤية العين.

والثاني: أنه من رؤية القلب، يعني: العلم، فإن حملناه على رؤية العين، فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج، فالمعنى: ألم تعلم، وهذا أولى، لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر، فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه. وهذا

(١٨٠) تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٦/١.

(١٨١) السابق ٤٦/١.

(١٨٢) إعراب القرآن وبيانه ٨/٩.

(١٨٣) الصحاح تاج اللغة ٢٣٤٧/٦.

(١٨٤) سورة الفرقان: ٤٥.

الخطاب وإن كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى، لأن المقصود بيان نعم الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في تسيبهم لهذه النعمة^(١٨٥).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١٨٦).
أي: ألم ير هؤلاء المنكرون للبعث كيف يُبدئ الله خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغه، ثم ينقله حالاً من بعد حال حتى أن يصير رجلاً كاملاً.
فمن قدر على هذا فهو قادر على إعادة المخلوق بعد موته، وذلك عليه هين لأن الإعادة عندكم أسهل من الابتداء، إذ الابتداء كان على غير مثال والإعادة هي على مثال متقدم، فذلك أسهل وأيسر فيما يعقلون.

وقيل: معناه: كيف يُبدئ الله الثمار وأنواع النبات فتفنى بأكلها ورعيها وشدة الحرّ عليها، ثم يعيدها ثانية أبداً أبداً، وكيف يُبدئ الله خلق الإنسان فيهلك، ثم يحدث منه ولداً، ثم يحدث للولد ولداً، وكذلك سائر الحيوان يبدئ الله خلق الوالد ثم يعيد منه خلق الولد، ويهلك الوالد، وهكذا أبداً. فاحتجّ الله عليهم بذلك لأنه أمر لا ينكرونه، يقرون به فمن قدر على ما تقرون قادر على إعادته بعد موته، وذلك أهو عليه فيما تعقلون، وكل عليه هين. ومعنى {يَرَوْا}: يعلموا^(١٨٧).

ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً، أجري لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق
اسم السبب على المسبب:: الكليات ٧٦٢

(١٨٥) الباب ٤/١٥٤، إعراب القرآن وبيانه ٢٤/٧.

(١٨٦) سورة العنكبوت: ١٩.

(١٨٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٦١٢/٩.

المبحث الرابع: التذكر

الجذر اللغوي: (ذ ك ر)

ورد لفظ الذكر في القرآن الكريم في ١٧٤ آية وبصيغ صرفية كثيرة.

الذِّكْرُ ذَكَرَانَ (١٨٨): ذكر بالقلب وذكر باللسان وكلّ واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ وكلّ قول يقال له ذكر فمن الذِّكْرُ باللسان قوله تعالى: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ" (١٨٩)، وقوله تعالى: "وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ" (١٩٠)، ومن الذِّكْرُ عن النسيان قوله تعالى: "فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ" (١٩١) ومن الذِّكْرُ بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: "فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا" (١٩٢).

والذكر بالقلب موضوعنا.

ذكر لغة: والذِّكْرُ والذِّكْرَى، بالكسر: خلاف النسيان (١٩٣)، التذُّكْرُ: تَفَعَّلَ من الذِّكْر. والذِّكْرُ: هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة (١٩٤).

ذكر اصطلاحاً: التخلُّص من الغفلة والنسيان ويقول الراغب: «الذِّكْرُ تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذِّكْرُ ذَكَرَانَ: ذكر بالقلب، وذكر باللسان» (١٩٥). الذِّكْرُ؛ بِالْكَسْرِ لَهُ مَعْنِيَانِ: أَحَدُهُمَا: التَّلَفُّظُ بِالشَّيْءِ وَالثَّانِي: إِحْضَارُهُ فِي الذَّهْنِ بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ، وَهُوَ ضِدُّ النِّسْيَانِ (١٩٦)، هو حضور صورة المذكور العلميّة (أي التي يعلم بها) في القلب (١٩٧).

(١٨٨) نضرة النعيم ٩٣١/٣.

(١٨٩) سورة الأنبياء: ١٠.

(١٩٠) سورة الأنبياء: ٥٠.

(١٩١) سورة الكهف: ٦٣.

(١٩٢) سورة البقرة: ٢٠٠.

(١٩٣) الصحاح تاج اللغة ٦٦٤/٢.

(١٩٤) السابق ٣١٩/٢.

(١٩٥) نضرة النعيم ١٩٦٢/٥.

(١٩٦) الكلبيات ٤٥٦/١.

(١٩٧) مدارج السالكين ٤٤٢/١، بصائر ذوي التمييز ٣١٩/٢، ٣٢٠.

ورد لفظ الذكر في القرآن الكريم في ١٧٤ آية وبصيغ صرفية كثيرة، وله معان وأوجه متعددة وهي:

- ذَكَرَ اللهُ الذِّكْرَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عَشْرِينَ وَجْهًا^(١٩٨):
- الأول: ذَكَرَ اللِّسَانَ {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ} (١٩٩) .
- الثاني: ذَكَرَ / بِالْقَلْبِ {ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ} (٢٠٠) .
- الثالث: بمعنى الوعظ {وَذَكَّرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (٢٠١) {فَذَكَّرَ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} (٢٠٢) .
- الرابع: الذكر: المقصود به هنا: التوراة والإنجيل (٢٠٣)، {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} (٢٠٤) .
- الخامس: بمعنى القرآن {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} (٢٠٥) .
- السادس: بمعنى اللوح المحفوظ {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} (٢٠٦) .
- السابع: بمعنى رسالة الرسول {أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ} (٢٠٧) أي رسالة.
- الثامن: بمعنى العبرة {أَفَنْضَبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا} (٢٠٨) أي العبر.
- التاسع: بمعنى الخبر {هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي} (٢٠٩) .
- العاشر: بمعنى الرسول {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا} (٢١٠) .
- الحادي عشر: بمعنى الشرف {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} (٢١١) أي شرف.
- الثاني عشر: بمعنى التوبة {ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} (٢١٢) .
- الثالث عشر: بمعنى الصلوات الخمس {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم} (٢١٣) .

(١٩٨) بصائر ذوي التمييز ٣/١٤، ١٥، معترك الأقران ٢/١٨٢، نزهة الأعين ١/٣٠٢، ٣٠٣، الكليات ١/٤٥٧ .

(١٩٩) سورة البقرة: ٢٠٠ .

(٢٠٠) سورة آل عمران: ١٣٥ .

(٢٠١) سورة الذاريات: ٥٥ .

(٢٠٢) سورة الأعلى: ٩ .

(٢٠٣) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ١/٨٧ .

(٢٠٤) سورة النحل: ٤٣ .

(٢٠٥) سورة الأنبياء: ٥٠ .

(٢٠٦) سورة الأنبياء: ١٠٥ .

(٢٠٧) سورة الأعراف: ٦٣ .

(٢٠٨) سورة الزخرف: ٥ .

(٢٠٩) سورة الأنبياء: ٢٤ .

(٢١٠) سورة الطلاق: ١٠ .

(٢١١) سورة الزخرف: ٤٤ .

(٢١٢) سورة هود: ١١٤ .

(٢١٣) سورة البقرة: ٢٣٩ .

- الرابع عشر: بمعنى صلاة العصر خاصّة {أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} (٢١٤) .
- الخامس عشر: بمعنى صلاة الجمعة {فاسعوا إلى ذكر الله} (٢١٥) .
- السادس عشر: بمعنى العُذر من التَّقْصِير {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ} (٢١٦) .
- السابع عشر: بمعنى الشَّفاعة {اذكروني عند ربك} (٢١٧) .
- الثامن عشر: بمعنى التَّوْحِيد {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} (٢١٨)، { وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ } (٢١٩) .
- التاسع عشر: بمعنى ذكر المنّة {اذكر نعمتي عليك} (٢٢٠)، {اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم} (٢٢١) .
- العشرون: بمعنى الطّاعة {فاذكروني أذكركم} (٢٢٢) أي اذكروني بالطّاعة أذكركم بالجنّة. (٢٢٣) .
- التذكر في القرآن الكريم:

ورد التذكّر والذكرى في القرآن الكريم في مواضع عديدة اقترن بعضها بالاستفهام الإنكاري كما في قوله سبحانه: "أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ" (٢٢٤) ، واقترن بعضها بلفظ «لعل» التي تفيد الحثّ على التذكر ببيان الأسباب الدّاعية إليه، وجاءت آيات أخرى تمدح المتذكّرين وتجعل الذّكرى من صفات أولى الألباب، وقد سجّلت آيات أخرى على الإنسان قلة تذكّره أو عدم تذكّره مع وجود الدّاعي لذلك من تلاوة آي القرآن أو جعل اللّيل والنّهار خلفه (٢٢٥).

الآيات الواردة في «التذكر»

التذكر مقترنا بالاستفهام الإنكاري (يراد منه التعجب) :

-
- (٢١٤) سورة ص: ٣٢ .
- (٢١٥) سورة الجمعة: ١٠ .
- (٢١٦) سورة النساء: ١٠٣ .
- (٢١٧) سورة يوسف: ٤٢ .
- (٢١٨) سورة طه: ١٢٤ .
- (٢١٩) سورة الجن: ١٧ .
- (٢٢٠) سورة المائدة: ١١٠ .
- (٢٢١) سورة البقرة: ٤٠ .
- (٢٢٢) سورة البقرة: ١٥٢ .
- (٢٢٣) سورة الحاقة: ٤٨ .
- (٢٢٤) سورة الأنعام: ٨٠، وسورة السجدة: ٤ .
- (٢٢٥) نضرة النعيم ٩١٧/٣ .

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢٦).

القرآن يحثنا على التذكر ويمتدح المتذكرين:

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٢٧).

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَرُواْ عَابِيَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٢٨).
القرآن يصف الإنسان بقلة التذكر:

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢٩).
تذكر الإنسان يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣٠).
بعض الآيات التي ورد فيها التذكر من أعمال القلب.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٣١).

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ قال ابن عباس: يعني النبوة. وقال الكلبي: يعني الفقه. وقال مقاتل: يعني علم القرآن. ويقال: الإصابة في القول. ويقال: المعرفة بمكائد الشيطان ووساوسه. وقال مجاهد: الإصابة في القوم والفهم والفقه. وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا يقول من يعط علم القرآن، فقد أعطي خَيْرًا كَثِيرًا. وَمَا يَذَّكَّرُ أَي مَا يَتَفَكَّرُ. ويقال: ما يتعظ بما في القرآن إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ يعني ذوو العقول (٢٣٢). أي لا يتذكر ولا يتعظ بهذه الآيات إِلَّا أُولُو الْعُقُولِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (٢٣٣).

(٢٢٦) سورة هود: ٢٤.

(٢٢٧) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢٢٨) سورة ص: ٢٩.

(٢٢٩) سورة الأعراف: ٣.

(٢٣٠) سورة الفجر: ٢٣.

(٢٣١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢٣٢) تفسير السمرقندي ١/١٧٩، تفسير القرآن العزيز ١/٢٦٠.

(٢٣٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ١/٨٩٧، تفسير السمعاني ١/٢٧٤.

وَقَوْلُهُ: وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ تَذْيِيلٌ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مَنْ شَاءَ اللهُ إِبْتَاءَ الْحِكْمَةِ هُوَ ذُو اللَّبِّ. وَأَنَّ تَذَكَّرَ الْحِكْمَةَ وَاسْتَصْحَابَ إِرْشَادَهَا بِمَقْدَارِ اسْتِحْضَارِ اللَّبِّ وَقُوَّتِهِ وَاللَّبُّ فِي الْأَصْلِ خُلَاصَةُ الشَّيْءِ وَقَلْبُهُ، وَأُطْلِقَ هُنَا عَلَى عَقْلِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ أَنْفَعُ شَيْءٍ فِيهِ (٢٣٤).
قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣٥).

الاستفهام في الآية (أفمن) استفهام استنكاري، وصيغة الاستفهام الاستنكاري تصلح في الأمور الواضحة التي لا لبس فيها؛ لأنه لو كان في الأمر شيء يسير جدا من الغموض لأصبحت الصيغة تدل على الاستعلام لا الاستنكار، وهذا يدل على أن ما جعله العرب من الشرك أمر ظاهر السوء والخطأ إلى درجة لا يلتبس على السامع أن هذا الاستفهام استنكاري لا استعلامي، وأن العرب الذين كانوا يمارسون هذا الشرك يعملون هذه الحقيقة علما لا لبس فيه، جاءت الصيغة (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وليس: "أفمن لا يخلق كمن يخلق" لأن الاستنكار في هذه الآية متجه إلى الحط من منزلة الربوبية، وإلى كل ما فعله المشركون في هذا الشرك، وليس الاستنكار متجه إلى سوء الفعلة لأنها مخالفة للحق فقط (٢٣٦).

، جاء التعبير ب (تذكرون) وليس " تفكرون " أو " تعقلون " لأن الأمر ظاهر واضح لا يحتاج إلا إلى إزاحة الغفلة عن هذه القلوب وهذه العقول (٢٣٧).

قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٢٣٨).

إن الاعتبار بظواهر الأشياء مفتوح أمام كل الناس؛ لأنه لا يحتاج إلى درجات عالية من أعمال العقل، ولذا جاء التعبير ب (يذكرون) في قوله تعالى (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) فالأمر لا يحتاج إلا إلى مجرد التذكر لما غفل عنه الإنسان.

- وجاء التعبير ب "قوم" في قوله تعالى (لقوم يذكرون) للإشارة إلى أن المقصودين هم من أصبح التذكر صفتهم التي عليها يجتمعون، ولأجل هذه الصفة المشتركة استحقوا إطلاق "قوم" عليهم، وليسوا ممن تذكر مرة واحدة أو عدة مرات متفرقة، وفي غير ذلك لا يتذكرون، وهذا ما يفيد الفعل المضارع، فإن تذكرهم متجدد متكرر، وليس في واقعة واحدة (٢٣٩).
من فوائد (التذكر) (٢٤٠).

(٢٣٤) التحرير والتنوير ٦٤/٣.

(٢٣٥) سورة النحل: ١٧.

(٢٣٦) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٣٥/١.

(٢٣٧) السابق ٣٥/١.

(٢٣٨) سورة النحل: ١٣.

(٢٣٩) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٢٧/١.

(٢٤٠) نضرة النعيم ٩٣٠/٣.

- (١) التذکر يزِيل الغفلة ويمدّ صاحبه بزاد من الإيمان لا ينفد.
 - (٢) التذکر يبعث على العظة والاعتبار خاصة ما حدث للأمم السابقة.
 - (٣) بالتذکر يتغلب الإنسان على هوى الشيطان ويمدّه بالبصيرة النافذة (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٢٤١).
 - (٤) التذکر يرفع الرّوح المعنويّة لصاحبه ويجعله ضمن أولى الألباب ويدخله في المنيبين.
 - (٥) التذکر يبعد الإنسان عن الذنوب ويحثّه على الإنابة (٢٤٢).
 - (٦) يجعل المسلم على صلة مع ربّه عند ما يتذکر آلاءه.
 - (٧) يديم النظر في مخلوقات الله فيزداد إيماناً وبقيناً.
 - (٨) تنعكس على صاحبه ملامح النجاة والفتنة والذكاء.
 - (٩) يحبه الله والملائكة المقربون وعباد الله الصالحون.
 - (١٠) يكسب الوجه نضارة واستنارة.
- العلاقة بين التذکر والتفكر (٢٤٣):

قال ابن القيم: فمنزلة التذکر من التفكر منزلة حصول الشّيء المطلوب بعد التفتيش عليه، ولهذا كانت آيات الله - المتلوّة والمشهودة ذكرى، كما قال في المتلوّة "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (٢٤٤)، وقال عن القرآن: "وَأِنَّهُ لَتَذَكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ" (٢٤٥).

قول ذكر الشّيء يقتضي أنه كان عالماً به ثم نسيه فردّه إلى ذكره ببعض الأسباب وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان (٢٤٦).

(٢٤١) سورة الأعراف: ٢٠١.
(٢٤٢) نضرة النعيم ٣/٩٣٠.
(٢٤٣) نضرة النعيم ٣/٩١٦.
(٢٤٤) سورة غافر: ٥٣، ٥٤.
(٢٤٥) سورة الحاقة: ٤٨.
(٢٤٦) معجم الفروق اللغوية ١/١٢١، ١٢٢.

المبحث الخامس: التفكير

الجذر اللغوي : (ف ك ر)

ورد الفكر في القرآن الكريم بخمسة صيغ، وتكرر ١٨ مرة، ومعناه تَرَدُّدُ الْقَلْبِ بِالنَّظْرِ وَالتَّدْبِيرِ لِطَلَبِ الْمَعَانِي، وَتَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الدَّهْنِ .

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّفْكَرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَأَثْنَى عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ (٢٤٧) فَقَالَ تَعَالَى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا" (٢٤٨).

فكر لغة: فكر: الفِكرُ: اسم التفكير. فكر في أمره وتفكر. ورجل فِكِيرٌ: كثير

التفكر (٢٤٩). الفكرة: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر (٢٥٠). والفِكرُ: إعمال الخاطر في الشيء (٢٥١).

فكر اصطلاحاً: الْفِكْرُ بِالْكَسْرِ تَرَدُّدُ الْقَلْبِ بِالنَّظْرِ وَالتَّدْبِيرِ لِطَلَبِ الْمَعَانِي وَلي فِي الْأَمْرِ فِكْرٌ أَي نَظَرٌ وَرَوِيَّةٌ وَالْفِكْرُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ فَكَرْتُ فِي الْأَمْرِ، وَيُقَالُ الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الدَّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ يَكُونُ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا (٢٥٢).

والفكر: حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب:: الكليات الكليات ٥٨٧

ويرادف الفكر النظر في القول المشهور. وقيل الفكر هو الترتيب والنظر ملاحظة المعقولات في ضمنه (٢٥٣)، النظر فكر يُؤدِّي إِلَى عِلْمٍ أَوْ اعْتِقَادٍ أَوْ ظَنٍّ (٢٥٤).
ورد الفكر في القرآن على وجوه:

بصيرة في فكر

(٢٤٧) ينظر إحياء علوم الدين، الغزالي ٤/٢٣٣.

(٢٤٨) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢٤٩) العين ٥/٣٥٨، لسان العرب ٥/٦٥٠.

(٢٥٠) مجمل اللغة لابن فارس ١/٧٠٤.

(٢٥١) المحيط والمحكم الأعظم ٧/٧، المخصص ٤/٤٩، القاموس المحيط ١/٤٥٨.

(٢٥٢) المصباح المنير ٢/٤٧٩.

(٢٥٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/١٢٨٥.

(٢٥٤) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ١/٦٩.

الفكر: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم. والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك مختص بالإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في العقل، ولهذا قيل: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله؛ إذ كان منزهاً أن يوصف بصورة (٢٥٥).
بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها التفكر بمعنى تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني:
قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٥٦).

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} التي منها يرزق ويعطي {ولا أعلم الغيب} فأخبركم بعاقبة ما تصيرون إليه {ولا أقول لكم إنني ملك} أشاهد من أمر الله ما لا يشاهده البشر {إن أتبع إلا ما يوحى إلي} أي: ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي {قل هل يستوي الأعمى والبصير} الكافر والمؤمن {أفلا تتفكرون} أنهما لا يستويان (٢٥٧).
أفلا تتفكرون فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل، أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه (٢٥٨).

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَي لَا يَسْتَوِي النَّاطِرُ الْمُفَكِّرُ فِي الْآيَاتِ وَالْمُعْرِضُ الْكَافِرُ الَّذِي يُهْمِلُ النَّظَرَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ. وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: الضَّالُّ وَالْمُهْتَدِي. وَقِيلَ: الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ. وَقَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ: مَثَلٌ لِلضَّالِّ وَالْمُهْتَدِيْنَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا لِمَنْ اتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ أَوْ لِمَنْ ادَّعَى الْمُسْتَقِيمَ، وَهُوَ التُّبُوءُ وَالْمُحَالَ وَهُوَ الْأُلُوهِيَّةُ وَالْمَلَكِيَّةُ.

أفلا تتفكرون هذا عرض وتحريض معناه الأمر أي ففكروا ولا تكونوا ضالين أشباه العمى أو فكروا فتعلمون، أي لا أتبع إلا ما يوحى إلي أو فتعلمون أنني لا أدعي ما لا يليق بالبشر (٢٥٩).
{هل يستوي الأعمى والبصير}، وذلك لأن العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الأعمى، والعمل بمقتضى نزول الوحي يجري مجرى عمل البصير، ثم قال تعالى: {أفلا تتفكرون}.
والمراد منه التنبيه على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين البابين، وألا يكون غافلاً عن معرفة الله (٢٦٠).

(٢٥٥) بصائر ذوي التمييز ٢١٢/٤.

(٢٥٦) سورة الأنعام: ٥٠.

(٢٥٧) الوجيز للواحد ٣٥٤/١، زاد المسير في علم التفسير ٣١/٢، تفسير الرازي ٥٣٩/١٢، تفسير العز بن عبد السلام ٤٣٧/١..

(٢٥٨) تفسير البيضاوي ١٦٣/٢.

(٢٥٩) البحر المحيط في التفسير ٥١٩/٤.

(٢٦٠) اللباب في علوم الكتاب ١٥٨/٨، التفسير القرآني للقرآن ١٩٠/٤.

سُبِّهَتْ حَالُهُ مَنْ لَا يَفْقَهُ الْأَدِلَّةَ وَلَا يُفَكِّكُ بَيْنَ الْمَعَانِي الْمُتَشَابِهَةِ بِحَالَةِ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَقْصِدُ وَلَا أَيْنَ يَضَعُ قَدَمَهُ. وَسُبِّهَتْ حَالُهُ مَنْ يُمَيِّزُ الْحَقَائِقَ وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا بِبَعْضِ بِحَالَةِ الْقَوِيِّ الْبَصِيرِ حَيْثُ لَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْأَشْبَاحُ. وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي فَسَادِ الْوَضْعِ لِأَدِلَّتِهِمْ وَعَقْمِ أَقْيَسَتِهِمْ، وَلِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا وَوَضَعُوا الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، أَوْ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهَا وَالْحَالِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهُمْ الَّتِي نَفَرُوا مِنْهَا لِيَعْلَمُوا أَيُّ الْحَالَيْنِ أَوْلَى بِالتَّخْلِيقِ.

وَقَوْلُهُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ اسْتِفْهَامٌ إنْكَارٍ. وَهُوَ مَعْطُوفٌ بِالْفَاءِ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ مُتَرَتَّبٌ عَلَيْهِ لِأَنَّ عَدَمَ اسْتِوَاءِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ بَدِيهِي لَا يَسْعُهُمْ إِلَّا الْإِعْتِرَافُ بِعَدَمِ اسْتِوَائِهِمَا فَلَا جَرَمَ أَنْ يَنْفَرَعَ عَلَيْهِ إنْكَارٌ عَدَمَ تَفَكُّرِهِمْ فِي أَنَّ هُمَا بِأَيْتِهِنَّ أَشْبَهُ (٢٦١).

قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الْزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٢).

- وجاء التعبير بالمضارع (ينبت) لأن الإنبات سنة لله متجددة في كل حين على هذه الأرض.
- وصرحت الآية بالزرع والزيتون والنخيل والأعناب ثم جاء التعميم (ومن كل الثمرات) لأن هذه الثمار المصرح بها هي من أشهر ما يعرفه العرب، ولأن لها مكانتها الخاصة عندهم.
- قدم ذكر الزرع على الأشجار؛ لأن الزرع من القمح و الأرز و الورقيات والحبوب بأنواعها و البقول وغيرها هي قوام حياة البشر.
- ورتبت أنواع الأشجار من الأعلى إلى الأدنى من جهة العمر؛ لأن طول تعميم الشجرة نوع من أنواع النعمة، فشجر الزيتون يعيش مئات السنين، وشجر النخيل يعيش أقل من شجر الزيتون بكثير، وأما الأعناب فأقلهن عمرا.
- (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) جاء التعبير بـ"يتفكرون" وليس بـ"يتذكرون"؛ لأن الأمر ليس ظاهرا ظهور ما يحتاج إلى تذكر فقط، وليس بـ"يعقلون" لأن الأمر لا يحتاج إلى المبالغة في أعمال العقل، بل العبرة بأمر الزرع والثمار تحصل بتفكير وتأمل في حال البذرة ونموها وإثمارها، وكيف أن هذه البذرة انتقلت من بذرة يابسة إلى زرع يانع وثمار ناضجة، وهذا يقدر عليه عامة الناس.

- وجاء التعبير بـ"قوم" في قوله تعالى (لقوم يتفكرون) للإشارة إلى أن المقصودين هم من أصبح التفكير صفتهم التي عليها يجتمعون، ولأجل هذه الصفة المشتركة استحقوا إطلاق "قوم" عليهم،

(٢٦١) التحرير والتنوير ٢٤٣/٧.

(٢٦٢) سورة النحل: ١١.

وليسوا ممن تفكر مرة واحدة أو عدة مرات متفرقة، وفي غير ذلك لا يتفكرون، وهذا ما يفيد
الفعل المضارع، فإن تفكرهم متجدد متكرر، وليس تفكر واقعة واحدة (٢٦٣).
الفرق بين التدبر والتفكر

أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل (٢٦٤).

بصيرة في التذكر والتفكر

التَّذْكَرُ: تَفَعَّلَ مِنَ الذِّكْرِ. والذِّكْرُ: هَيْئَةٌ لِلنَّفْسِ، بِهَا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيهِ مِنَ
المعرفة. والفكرة: قُوَّةٌ مُطَرِّقَةٌ لِلْعِلْمِ إِلَى الْمَعْلُومِ. والتَّفَكُّرُ غيره؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْقُوَّةَ بِحَسَبِ نَظَرِ
العقل، وَذَلِكَ لِلإِنْسَانِ دُونَ الْحَيَوَانَ. وَلَا يُقَالُ إِلَّا فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ.
ولهذا رُوِيَ "تَفَكَّرُوا فِي آيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ". إِذْ كَانَ اللَّهُ مَنْزَهاً أَنْ يُوصَفَ بِصُورَةٍ.
قال - تعالى -: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ} (٢٦٥)، {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ} (٢٦٦).

ثم اعلم أن التذکر قرین الإنابة. قال - تعالى -: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٢٦٧).
والتَّذْكَرُ والتَّفَكُّرُ مَنْزِلَانِ يُثْمِرَانِ أَنْوَاعَ الْمَعَارِفِ، وَحَقَائِقَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ. فَالْعَارِفُ لَا يَزَالُ يَعُودُ
تَفَكَّرَهُ عَلَى تَذْكَرِهِ، وَتَذْكَرَهُ عَلَى تَفَكَّرِهِ، حَتَّى يُفْتَحَ قَلْبُهُ بِإِذْنِ الْفَتَّاحِ الْعَلِيمِ. قَالَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ: مَا زَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعُودُونَ بِالتَّذْكَرِ عَلَى التَّفَكُّرِ، وَبِالتَّفَكُّرِ عَلَى التَّذْكَرِ، وَيُنَاطِقُونَ
الْقُلُوبَ (٢٦٨).

فإن قلت: هل التذکر والتفكر بمعنى واحد أم لا؟

والجواب أن التذکر ثانٍ عن التفكر، ولهذا اختلفوا، فذهب بعض الحكماء إلى أن العلوم كلها
تذكيرية، وأن النفوس كانت عالمة لكل علم، فلما خالطت الأبدان ذهب عنها ذلك، فكل ما
تعلمه إنما هو تذكر لما كان وذهب.
ومذهب الجمهور أن أكثرها تفكر، وبعضها تذکر، فالتفكر لما لم يكن يعلمه، والتذكر لما علمه
ونسبه، فلذلك جعله ثالثاً.

(٢٦٣) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ٢٣/١.

(٢٦٤) معجم الفروق اللغوية ١٢١/١.

(٢٦٥) سورة الروم: ٨.

(٢٦٦) سورة الأعراف: ١٨٥.

(٢٦٧) سورة البقرة: ٢٩٦.

(٢٦٨) بصائر ذوي التمييز ٣١٩/٢.

وقال ابن الخطيب: التفكير أعمال الفكر لطلب الفائدة، والمذكورات معه راجعة لباب القوت، وكل الناس محتاج إليه، فعند ذلك يتفكرون النعم بها فيشكرونه.

وأما الثانية فتدبرها أعلى رتبة إذ منافعها أخفى وأغمض، فيستحق صاحبها الوصف بما هو أعلى وأغمض وهو العقل (٢٦٩).
من فوائد (التفكير)

- (١) طريق موصل إلى رضوان الله ومحبيته.
- (٢) انشراح للصدر وسكينة للقلب.
- (٣) التفكير يورث الخوف والخشية من الله - عز وجل -.
- (٤) التفكير يورث الحكمة ويحيي القلوب.
- (٥) كثرة الاعتبار والاتعاظ من سير السابقين.
- (٦) التفكير قيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم (٢٧٠).

تعددت الأقوال حول التذكر والتفكير وهي:

١. أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير، وبالتفكير على التذكر، ويناطقون القلوب.
٢. أن التذكر ثاب عن التفكير، فالعلوم كلها تذكيرية، وأن النفوس كانت عالمة لكل علم، فلما خالطت الأبدان ذهب عنها ذلك، فكل ما تعلمه إنما هو تذكر لما كان وذهب.
٣. ومذهب الجمهور أن أكثرها تفكير، وبعضها تذكر، فالتفكير لما لم يكن يعلمه، والتذكر لما علمه ونسيه، فلذلك جعله ثالثاً.
٤. التفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل، وهو الترتيب، والنظر ملاحظة المعقولات في ضمنه وإعمال الخاطر في الشيء.
٥. ومن خلال البحث يتضح أن: التذكر حضور الشيء القلب والنخلص من الغفلة والنسيان لحصول الشيء المطلوب بعد التفطيش عليه، وهو تذكر لما كان وذهب.

التذكر ورد في القرآن الكريم من صفات، وأولي الألباب، والتذكير بالقرآن لمن يخاف الوعيد، والتذكير بخلق كل شيء من زوجين، وعلم النشأة الأولى، ونزول الكتاب المبارك ليتذكر أولي الألباب، وانزال الرزق من السماء يذكر من أناب، وتبيين الآيات للناس، وضرب

(٢٦٩) معترك الأقران ٣٤٤/٢.

(٢٧٠) نضرة النعيم ١٠٧٨/٤.

الأمثال للناس، وارسال النذير، وتيسير القرآن بلسان عربي، والتوحيد، وتعاقب الليل والنهار، وتفصيل الآيات، والذكرى جاءت للمؤمنين، والذاكرين، والعابدین، والمنيبين، وللبشر، والإنسان، ولمن يخشى، والمتقين.

وهو من صفات أولي الألباب وهم قلبه، وهم أعلى درجة من غيرهم، فاللب ما زكا من العقل.

، ومن صفات المنيبين أي العائدين والراجعين لله، أي من صفات الصفاة .

التفكر ورد في القرآن الكريم خاص بالتفكر في القيام لله مثنى وفردى، ثم التفكر في ذلك، والتفكر في آيات الله بعدما بينها لهم، والتفكر في استواء الأعمى والبصير، والتفكر بالنفس، وفي خلق السموات والأرض، وفي القصص، وتفصيل الآيات، والمودة والرحمة بين الأزواج، والأمثال التي تضرب للناس لعلها تتفكر.

يعد التفكر الذي يعرف بتردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، وترتيب أمور في الذهن، وإعمال الخاطر في الشيء و حضور صورة المذكور العلمية (أي التي يعلم بها) في القلب متاح للكثير من الناس.

وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحي عن القلب

وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة

فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر (٢٧١).

قال الغزالي :..... تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا

أما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة (٢٧٢) .

فهذه العبارات ليست مترادفة على معنى واحد، ويظهر هذا من خلال البحث وما ذكر سابقا في

تعريف كل لفظ منهم والفرق بينهم فهم ليسوا على معنى واحد.....

(٢٧١) احياء علوم الدين ٤/٤٢٦ .

(٢٧٢) السابق ٤/٤٢٥، ٤٢٦

المبحث السادس: العقل.

المجموعة الدلالية الأولى (ع ق ل)

ألفاظ هذه المجموعة: عقلوه - تعقلون - نعقل - يعقلها - يعقلون .

ورد لفظ العقل في القرآن الكريم (٤٩) مرة، منها: عقلوه مرة واحدة، وتعقلون (٢٤) مرة، ونعقل مرة واحدة، ويعقلها مرة واحدة ويعقلون (٢٢) مرة.

لفظ العقل اسم ليس له وجود في القرآن، وإنما استخدم القرآن الكريم ما تصرف منه بصيغة الفعل .

العقل ليس عينا قائمة بنفسها، وليس عند الإنسان عضو مستقل يسمى العقل.

العقل وظيفة من وظائف القلب وعمل من أعماله فقد ورد في آيات كثيرة أثبت العقل لمجموعة من البشر سمعت وأطاعت أمر الله .

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٧٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثَاقَ بَيْتِنَا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٧٤).

وجماعة أخرى سمعت ولكنها لم تمتثل لأمر الله فكانوا كمن لا عقل لهم، ولا يعني ذلك أن هناك نقص أو مرض بعقولهم، ولكنهم أصحاب عقول ولكنهم لم يسمعوا كلام الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُحْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٧٦).

العقل لغة: عقل: العين والقاف واللام أصل واحد، يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، وانزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول . ورجل عاقل، إذا كان حسن الفهم وافر العقل . (٢٧٧).

(٢٧٣) سورة النحل: ١٢ .

(٢٧٤) سورة العنكبوت: ٣٥ .

(٢٧٥) سورة العنكبوت: ٦٣ .

(٢٧٦) سورة البقرة: ١٧١ .

(٢٧٧) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس . ت: عبد السلام محمد هارون ٤/٦٩، دار الفكر.

العقل: القلب، والقلب العقل، التثيت في الأمور (٢٧٨).
أدراك الأشياء على حقيقتها (٢٧٩). أصل مادة كلمة "عقل" تدور حول معنى الإمساك بالشئ
وحبسه وربطه.

وسمّي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه ويحبسه، ويحول بينه وبين التورط في
المهالك (٢٨٠).

والعقل نعمة عظيمة أعطها الله لمعظم الخلق، فهو القدرة على الاختيار والتثيت في الأمور
(٢٨١).

العقل اصطلاحاً: ما يعقل به حقائق الأشياء، وقيل: محله القلب (٢٨٢). وسمي العقل عقلاً
لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في القبح، وهو من قولك: عقل البعير إذا شده فمنعه من أن يثور،
وخلاف العلم الجهل، وخلاف العقل الحمق (٢٨٣).

"العقلُ العلمُ بصفات الأشياء، من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلمُ بخير الخيرين
وشرّ الشرين، أو مطلقاً لأمر أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، أو لِمَعَانٍ مجتمعة في
الذهن، يكون بمقدمات يُستتبُّ بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته
وكلامه.

والحقُّ أنَّ العقلَ نورٌ روحانيٌّ، به تدرك النَّفسُ العلومَ الضَّروريةَ والنَّظريةَ، وابتداءً وجوده عند
اجتنان الإنسان - أي عند صيرورته جنيناً - ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ" (٢٨٤).

ورد لفظ يَعْقِلُهَا في القرآن الكريم مرة واحدة وهي:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٢٨٥).

السمعاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} أَي: الْأَشْبَاهُ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّمثِيلُ.
وقوله: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (أي: الْعَالِمُونَ بمعاني كَلَامِي، وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: يَسْتَحْبُّ
أَنْ يَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مِثْلِ فِي الْقُرْآنِ) (٢٨٦).

(٢٧٨) لسان العرب ٤٥٩/١١.

(٢٧٩) مختار الصحاح ٤٤٦، القاموس القويم للقرآن الكريم ٢٩/٢.

(٢٨٠) أصول الدعوة وطرقها ٢ جامعة المدينة ٢٠١/١.

(٢٨١) لسان العرب ٤٥٩/١١.

(٢٨٢) التعريفات ١٥٢.

(٢٨٣) الفروق اللغوية ٦٦، ٦٥.

(٢٨٤) أصول الدعوة ٢٠١/١.

(٢٨٥) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٢٨٦) تفسير السمعي ١٨٢/٤، تفسير القشيري ٩٨/٣.

البعوي: {وتلك الأمثال} الأشباه والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، {نضربها} نبينها، {للناس} قال مقاتل: لكفار مكة، قوله تعالى: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} أي: ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله (٢٨٧).

ورد لفظ يَعْقِلُونَ في اثنتين وعشرين موضعا منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨٨).
 {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يَقُولُ فِي تَخْلِيْقَهُمَا وَيُقَالُ فِيْمَا خَلَقَ فِيْهِمَا {وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فِي تَقْلِيْبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَزِيَادَتُهُمَا وَنَقْصَانَهُمَا {وَالْفُلْكِ} وَفِي السَّفِينِ {الَّتِي تَجْرِي} تَسِيرِ {فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ} فِي مَعَايِشِهِمْ {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} وَفِيْمَا أَنْزَلَ اللَّهُ {مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ} مَطَرِ {فَأَحْيَا بِهِ} بِالْمَطَرِ {الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} بَعْدَ قَحْطِهَا وَيُوسِتُهُمَا {وَبَثَّ فِيهَا} خَلَقَ فِيْهَا {مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} ذَكَرَ وَأُنْثَى {وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ} وَفِي تَقْلِيْبِ الرِّيْحِ يَمِيْنًا وَشِمَالًا قَبُولًا وَدُبُورًا مَرَّةً بِالْعَذَابِ وَمَرَّةً بِالرَّحْمَةِ {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ} وَفِي السَّحَابِ الْمُدَّلِّ {بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} يَقُولُ فِي كُلِّ هَؤُلَاءِ {لَآيَاتٍ} لِعَلَامَاتٍ لُوْحَدَانِيَةِ الرَّبِّ {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يَصْدُقُونَ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ (٢٨٩).

{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون العقول وفيه تعريضٌ بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيلٌ عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلاً منها ناطقةً بوجوده تعالى و وحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغني بها عن سائرها (٢٩٠).

السعدي: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره (٢٩١).

(تَعْقِلُونَ):

ورد لفظ تَعْقِلُونَ في القرآن الكريم أربعة وعشرون مرة منها (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ثلاثة عشرة مرة منها:

(٢٨٧) تفسير البغوي ٢٤٣/٦.

(٢٨٨) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢٨٩) تنوير المقياس ٢٣/١، اللباب ١١٨/٣.

(٢٩٠) تفسير أبي السعود ١٨٥/١.

(٢٩١) تفسير السعدي ٧٨/١.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢٩٢).
ابن عباس: ذكر قصة رؤساء اليهود فقال {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ} سفلة الناس بالبر بالتوحيد واتباع

مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} تتركون أنفسكم فلا تتبعونه {وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ} تقرأون {الكتاب} عليهم {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} فليس لكم ذهن الإنسانية (٢٩٣).

الخطاب هنا خاص لبني إسرائيل، ولا تمنع خصوصيته من عموميته، وبهذا يكون الخطاب لكل من يحسن القول، ولا يحسن العمل، ويندب الناس إلى الخير، ويأمرهم به، ولا ينظر إلى نفسه، ولا يحملها على أخذ حظها من هذا الخير الذي يدعو إليه.. وفي ذلك ظلم للنفس، وخسران مبین.

وقد ذم الله سبحانه من يسلك هذا المسلك المتناقض (٢٩٤).

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} والاستفهام هنا للتنبيه إلى مناقضة حالهم للعقل المدرك (٢٩٥).

والعقل مصدر عقل بمعنى منع، ثم أطلق على ما يكون به الإدراك السليم لأنه يمنعه من القبيح، ويعقله ويقصره على الجميل، ومعنى الاستفهام، أن حالهم هي حال من لا عقل له ولا إدراك، و (ألا) هنا - كما ذكرنا - للاستفهام والتنبيه إلى نفي ما وراءه، والفاء فاء السببية أي بسبب هذه الحال يحكم عليهم بأنهم لا يعقلون، وأخرت الفاء عن الهمزة لأن الاستفهام له الصدارة، فهي مؤخرة عن تقديم (٢٩٦).

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢٩٧).

الاستفهام هنا للإنكار؛ والمراد إنكار أمر الناس بالبر مع نسيان النفس؛ إذ النفس أولى أن يبدأ بها (٢٩٨).

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الهمزة) للاستفهام التوبيخي (لا) نافية (تعقلون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (٢٩٩).

(٢٩٢) سورة البقرة: ٤٤.

(٢٩٣) تنوير المقباس ٨/١، توفيق الرحمن في دروس القرآن ١٢٨/١، تفسير مقاتل بن سليمان ١٠٢/١.

(٢٩٤) التفسير القرآني للقرآن ٧٩/١، التحرير والتنوير ٤٧٤/١، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ط الحكمة ١٥٩/١، البرها في علوم القرآن للإمام الحوفي - سورة يوسف ٧٠/١.

(٢٩٥) زهرة التفاسير ٢١٦/١.

(٢٩٦) السابق ٢١٦/١.

(٢٩٧) سورة يونس: ١٦.

(٢٩٨) تفسير العنيمين الفاتحة والبقرة ١٥٧/١، التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة ٢٣/١، الأساس في التفسير ١٣٧/١، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٦٤٢/٢.

(٢٩٩) الجدول في إعراب القرآن، ٩٤/١١، التفسير القرآني للقرآن ٩٧٤/٦، التحرير والتنوير ١٢١/١١.

أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري (٣٠٠).

«أفلا» الهمزة للاستفهام والفاء استئنافية ولا نافية «تَعْقِلُونَ» مضارع مرفوع بثبوت النون

والواو فاعل والجملة مستأنفة (٣٠١).

الهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً: فهي تستعمل للتصور والتصديق.

قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى أشهرها (٣٠٢): الإنكار: الإنكار

التوبيخي: ويقتضي أن المخاطب، فعل فعلاً يستلزم توبيخه عليه وتقريعه، فالأمر واقع في الإنكار

التوبيخي (٣٠٣).

ابن عباس: {قُلْ يَا مُحَمَّدٌ {لَوْ شَاءَ اللَّهُ} أَنْ لَا أَكُونَ رَسُولًا {مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ} مَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ عَلَيْكُمْ {وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} يَقُولُ وَلَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ بِالْقُرْآنِ {فَقَدْ لَبِثْتُ} مَكثت {فِيكُمْ عُمُرًا}
أَرْبَعِينَ سَنَةً {مَنْ قَبْلِهِ} مَنْ قَبْلَهُ {مَنْ قَبْلِهِ} مَنْ قَبْلَهُ {مَنْ قَبْلِهِ} مَنْ قَبْلَهُ {مَنْ قَبْلِهِ} مَنْ قَبْلَهُ
الإنسانية أنه لَيْسَ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي (٣٠٤).

أبو زهرة: وقوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الفاء) متأخرة عن تقديم، مترتبة على ما قبلها وأخرت

لمكان الاستفهام من الصدارة، والاستفهام إنكاري بمعنى نفي الوقوع، داخل على نفي، وهو (لا)

ونفي النفي إثبات، فهو تحريض على التفكير والتدبر وألا يركب الشيطان رءوسهم فيهملوا

عقولهم ويكونوا قوماً بوراً (٣٠٥).

فالأية دليل على وجود العقل عندهم ولكنهم لم يعملوه كما ينبغي ويجب فكانوا كمن لا عقل

له فاستحقوا التوبيخ.

واقترن لفظ العقل ب(لعل) ٨ مرات منها:

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرَبُوهُ بَعْضُهُمْ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(٣٠٦).

(لَعَلَّ): هي لتوقع شيء محبوب أو مكروه فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وإطماعاً، وتوقع المكروه

يسمى أشفاقاً (٣٠٧).

(٣٠٠) إعراب القرآن وبيانه ٤/٢١٩، المجتبى ٢/٤٢٧.

(٣٠١) إعراب القرآن للدعاس ٢/٢٠.

(٣٠٢) معاني النحو ٤/٢٣٣.

(٣٠٣) السابق ٤/٢٣٤.

(٣٠٤) تنوير المقباس ١/١٧١.

(٣٠٥) زهرة التفاسير ٧/٣٥٣٥، أوضح التفاسير ١/٢٤٨.

(٣٠٦) سورة البقرة: ٧٣.

(٣٠٧) معاني النحو ١/٣٠٤.

والفرق بين تمنى الممكن وترجيئه، أن المترجي متوقع حصوله بخلاف المتمنى، فإنه غير متوقع الحصول، فالفرق بين قولك: ليت زيدا يأتينا، ولعل زيدا يأتينا أن الأولى تمن وقائله غير متوقع لحصوله، بخلاف الثانية فإنه متوقع لمجيئه. وقيل قد تتجرد (لعل) لمطلق التوقع، ولا تختص بكونه محبوباً أو مكروهاً، الجرجاني: "هي موضوعة لإنشاء توقع أمر إما مرغوب ويسمى ترجياً: أو مرهوب ويسمى إشفاقاً .. وقد يكون من غيرها ممن له نوع تعلق بالكلام (٣٠٨).
وقيل إن لعل تجيء للاستفهام (٣٠٩).

{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ} عَنِ الْمَقْتُولِ {بِبَعْضِهَا} أَي بَعْضُ مِنْ أَعْضَائِهَا وَيُقَالُ بَدَنُهَا وَيُقَالُ بِلِسَانِهَا
{كَذَلِكَ} كَمَا أَحْيَا اللَّهُ عَامِلِ {يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى} لِلْبَعْثِ {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} إِحْيَاءَهُ {لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ} لَكِي تَصَدَّقُوا بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ (٣١٠).
{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} تَمْنَعُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَعَاصِي (٣١١).
كَي تَعْقِلُوا. أَي تَمْتَنِعُونَ مِنْ عَصْيَانِهِ. وَعَقَلْتُ نَفْسِي عَنْ كَذَا أَي مَنَعْتَهَا مِنْهُ وَالْمَعَاقِلُ:
الْحَصُونُ (٣١٢).

(٣٠٨) معاني النحو ١/٣٠٥.

(٣٠٩) السابق ١/٣٠٦.

(٣١٠) تنوير المقباس ١/١١١.

(٣١١) تفسير السمعاني ١/٩٥، تفسير البغوي ١/١٠٩.

(٣١٢) تفسير القرطبي ١/٤٦٢، تفسير البيضاوي ١/٨٨، تفسير النسفي ١/١٠٠.

المبحث السابع: التدبر

المجموعة الدلالية الأولى: (د ب ر)

ورد لفظ يدبر متعلقاً بالله عزو وجل ٤ مرات (يدبر الأمر)، وورد لفظ يتدبرون مرتان، متعلقاً بتدبر القرآن، وورد لفظ يدبروا مرتان، متعلقاً بتدبر القول والآيات.

ألفاظ هذه المجموع: يدبر - يتدبرون - يدبروا.

التدبير: استعمال الرأي بفعلٍ شاق، وقيل: التدبير: النظر في العواقب بمعرفة الخير، وقيل: التدبير: إجراء الأمور على علم العواقب، وهي لله تعالى حقيقةً، وللعبد مجازاً. التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير؛ إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب (٣١٣).

تدبر لغة: التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير؛ إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب (٣١٤).

تدبر اصطلاحاً: الإعتبار هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر (٣١٥)، (يتدبرون القرآن) أي يتفكرون في معانيه، لتظهر أدلته وبراهينه، وفيها حصص على التدبر والتفكير فيه (٣١٦). والتدبير: التفكير في دبر الأمور (٣١٧).

وقد ورد التدبر في القرآن الكريم على معان:

التفكير، والنظر في عاقبة الأمر، والتأمل للمعاني وتبصر ما فيها.

بعض الآيات التي ورد فيها التدبر:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٣١٨).

(٣١٣) التعريفات ٥٤/١.

(٣١٤) التعريفات ٥٤/١، القاموس الفقهي ١٢٨/١.

(٣١٥) الكلبيات ١٤٧/١.

(٣١٦) معترك الأقران ٤١٦/٣.

(٣١٧) المفردات في غريب القرن ٣٠٧/١.

(٣١٨) سورة النساء: ٨٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، يَعْنِي: أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّدَبُّرُ هُوَ النَّظَرُ فِي
آخِرِ الْأَمْرِ، وَدُبْرُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، أَيْ تَفَاوُتًا
وَتَنَاقُضًا كَثِيرًا، وَقِيلَ: لَوَجَدُوا فِيهِ أَيْ: فِي الْإِنْخَبَارِ عَنِ الْغَيْبِ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ اخْتِلَافًا كَثِيرًا،
أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ فَيَعْرِفُوا بَعْدَ التَّنَاقُضِ فِيهِ وَصِدْقِ مَا يَخْبُرُ [به] أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ مَا لَا
يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَخْلُو عَنْ تَنَاقُضٍ وَاخْتِلَافٍ (٣١٩).

تدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل
فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه (٣٢٠).

"أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه (٣٢١).

أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ يَعْنِي أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ لِيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَيَقَالُ: أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ
فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى؟ (٣٢٢).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) (٣٢٣).

أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَكَّرُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ وَوَعِيدِ الْعَصَاةِ، حَتَّى لَا
يَجْسُرُوا عَلَى الْمَعَاصِي، ثُمَّ قَالَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا وَأَمْ بِمَعْنَى بَلْ وَهَمْزَةُ التَّقْرِيرِ، لِلتَّسْجِيلِ
عَلَيْهِمْ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَقْفَلَةٌ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا ذِكْرٌ. وَعَنْ قَتَادَةَ: إِذَا وَاللَّهِ يَجِدُوا فِي الْقُرْآنِ زَاجِرًا عَنِ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ لَوْ تَدَبَّرُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَخَذُوا بِالْمِثْشَابَةِ فَهَلَكُوا. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَكُرْتُ الْقُلُوبَ وَأَضْيَفْتُ
الْأَقْفَالَ إِلَيْهَا؟ قُلْتَ: أَمَا التَّنْكِيرُ فِيهِ وَجِهَانُ: أَنْ يَرَادَ عَلَى قُلُوبٍ قَاسِيَةٌ مَبْهُمٌ أَمْرًا فِي ذَلِكَ.
أَوْ يَرَادُ عَلَى بَعْضِ الْقُلُوبِ: وَهِيَ قُلُوبُ الْمُنَافِقِينَ. وَأَمَا إِضَافَةُ الْأَقْفَالِ، فَلِأَنَّهُ يَرِيدُ الْأَقْفَالَ
الْمَخْتَصَةَ بِهَا، وَهِيَ أَقْفَالُ الْكُفْرِ الَّتِي اسْتَعْلَقَتْ فَلَا تَنْفَتِحُ (٣٢٤).

قال تعالى: (كُنُوبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَبَّ رِوَاً ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٣٢٥).

(٣١٩) تفسير البغوي - إحياء التراث ١/٦٦٧.

(٣٢٠) تفسير الزمخشري ١/٥٤٠.

(٣٢١) تفسير البيضاوي ٢/٨٦.

(٣٢٢) تفسير السمرقندي ١/٣٢١، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١/٣٩٠، تفسير

الماوردي ١/٥١٠، الوجيز للواحدي ١/٢٧٨..

(٣٢٣) سورة محمد: ٢٤.

(٣٢٤) تفسير الزمخشري (الكشاف) ٤/٣٢٦، تفسير ابن عطية ٥/١١٩، تفسير النسفي ٣/٣٢٨، التفسير

القيم ١/٤٧٧، الدر الالمصون ٩/٧٠٢.

(٣٢٥) سورة ص: ٢٩.

{كِتَابٌ} هَذَا كِتَابٌ {أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} أَنْزَلْنَا جِبْرِيْلَ بِهِ إِلَيْكَ {مُبَارَكٌ} فِيهِ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ {لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ} لِكَيْ يَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ {وَلِيَتَذَكَّرَ} لِكَيْ يَتَعَطَّ {أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ} ذُوو الْعُقُولِ مِنَ النَّاسِ (٣٢٦).

فان التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور والتفكير تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب ولِيَتَذَكَّرَ أولوا الألباب اي وليتعط به اصحاب العقول الخالصة عن شوب الوهم (٣٢٧).
{لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ} أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود (٣٢٨) ، أي وجُوبِ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣٢٩).

وَالتَّذَكُّرُ: التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ صَاحِبُهُ مَعْرِفَةَ الْمُرَادِ مِنَ الْمَعَانِي، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي كَلَامٍ قَلِيلٍ اللَّفْظِ كَثِيرِ الْمَعَانِي الَّتِي أُودِعَتْ فِيهِ بِحَيْثُ كُلَّمَا أَزْدَادَ الْمَتَدَبِّرُ تَدَبَّرَا انكشفت لَهُ مَعَانٍ لَمْ تَكُنْ بَادِيَةً لَهُ بَادِي النَّظَرِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: لِيَدَّبُرُوا بِيَاءِ الْغَيْبَةِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِّ. وَأَصْلُ «يَدَّبُرُوا» يَتَدَّبُرُوا، فَقَلِبَتِ التَّاءُ دَالًّا لِقُرْبِ مَخْرَجَيْهِمَا لِيَتَأْتِيَ الْإِدْغَامُ لِتَخْفِيفِهِ وَهُوَ صِيغَةُ تَكْلُفٍ مُشْتَقَّةٌ مِنْ فِعْلِ:

دَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا إِذَا تَبَعَ، فَتَدَبَّرَهُ بِمَنْزِلَةِ تَتَبَعَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَتَعَقَّبُ ظَوَاهِرَ الْأَلْفَاظِ لِيَعْلَمَ مَا يَدْبُرُ ظَوَاهِرَهَا مِنَ الْمَعَانِي الْمَكْنُونَةِ وَالتَّأْوِيلَاتِ اللَّائِقَةِ،

وَالتَّذَكُّرُ: اسْتِحْضَارُ الذَّهْنِ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ وَهُوَ صَادِقٌ بِاسْتِحْضَارِ مَا هُوَ مَنْسِيٌّ وَبِاسْتِحْضَارِ مَا الشَّأْنُ أَنْ لَا يُغْفَلَ عَنْهُ وَهُوَ مَا يَهْمُ الْعَلِمَ بِهِ، فَجَعَلَ الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ لِيَتَدَّبُرُوا مَعَانِيَهُ وَيَكْشِفُوا عَنْ غَوَامِضِهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ فَإِنَّهُمْ عَلَى تَعَاقُبِ طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ بِهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى نَهَائِهِ مِنْ مَكْنُونِهِ وَلِيَتَذَكَّرَهُمُ الْآيَةُ بِنَظِيرِهَا وَمَا يُقَارِبُهَا، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَا هُوَ مَوْعِظَةٌ لَهُمْ وَمَوْفِظٌ مِنْ غَفَلَاتِهِمْ.

وَصَمِيرٌ «يَدَّبُرُوا» عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ عَائِدٌ إِلَى أَوْلُوا الْأَلْبَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِضْمَارِ لِلْفِعْلِ الْمُهْمَلِ عَنِ الْعَمَلِ فِي التَّنَازُعِ، وَالتَّقْدِيرُ: لِيَدَّبُرَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ آيَاتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي جَعْفَرٍ فَإِسْنَادٌ «يَتَذَكَّرُ» إِلَى أَوْلُوا الْأَلْبَابِ اِكْتِفَاءً عَنْ وَصْفِ الْمُتَدَبِّرِينَ بِأَنَّهُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ لِأَنَّ التَّدَبُّرَ مُفْضٍ إِلَى التَّذَكُّرِ. وَالتَّذَكُّرُ مِنْ آثَارِ التَّدَبُّرِ فَوَصَفُ فَاعِلِ أَحَدِ الْفِعْلَيْنِ يُغْنِي عَنْ وَصْفِ

(٣٢٦) تنوير المقباس ٣٨٢/١.

(٣٢٧) روح البيان ٢٥/٨، البحر المديد لابن عجيبة ٢٣/٥.

(٣٢٨) تفسير السعدي ٧١٢/١.

(٣٢٩) تفسير القرطبي ١٥/١٩٢.

فَاعِلِ الْفِعْلِ الْآخِرِ، وَأُولُو الْأَلْبَابِ: أَهْلُ الْعُقُولِ وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا بِالْقُرْآنِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْعُقُولِ، وَأَنَّ التَّذَكُّرَ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، فَهُمْ مِمَّنْ تَدَبَّرُوا آيَاتِهِ فَاسْتَنْبَطُوا مِنَ الْمَعَانِي مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَمَنْ قَرَأَهُ فَتَذَكَّرَ بِهِ مَا كَانَ عِلْمَهُ وَتَذَكَّرَ بِهِ حَقًّا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَعَاهُ، وَالْكَافِرُونَ أَعْرَضُوا عَنِ التَّدَبُّرِ فَلَا جَزَمَ فَاتِهِمُ التَّذَكُّرُ (٣٣٠).

وَالتَّذَكُّرُ: اسْتِحْضَارُ الذَّهْنِ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ وَهُوَ صَادِقٌ بِاسْتِحْضَارِ مَا هُوَ مَنْسِيٌّ وَبِاسْتِحْضَارِ مَا الشَّأْنُ أَنْ لَا يُعْفَلَ عَنْهُ وَهُوَ مَا يَهْمُ الْعِلْمَ بِهِ، فَجَعَلَ الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ لِيَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ وَيَكْشِفُوا عَنْ غَوَامِضِهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ فَإِنَّهُمْ عَلَى تَعَاقُبِ طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ بِهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى نَهَايَةِ مَنْ مَكُونِهِ وَلِتَذَكَّرَهُمُ الْآيَةُ بِنَظِيرِهَا وَمَا يَقَارِبُهَا، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَا هُوَ مَوْعِظَةٌ لَهُمْ وَمَوْفِظٌ مِنْ غَفَلَاتِهِمْ. وَصَمِيرُ «يَتَدَبَّرُوا» عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ عَائِدٌ إِلَى أُولُو الْأَلْبَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِضْمَارِ لِلْفِعْلِ الْمُهْمَلِ عَنِ الْعَمَلِ فِي التَّنَازُعِ، وَالتَّقْدِيرُ: لِيَتَدَبَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ آيَاتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي جَعْفَرٍ فِإِسْنَادُ «يَتَذَكَّرُ» إِلَى أُولُو الْأَلْبَابِ اكْتِفَاءً عَنْ وَصْفِ الْمُتَدَبِّرِينَ بِأَنَّهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ لِأَنَّ التَّدَبُّرَ مُفْضٍ إِلَى التَّذَكُّرِ. وَالتَّذَكُّرُ مِنْ آثَارِ التَّدَبُّرِ فَوَصَفُ فَاعِلِ أَحَدِ الْفِعْلَيْنِ يُغْنِي عَنْ وَصْفِ فَاعِلِ الْفِعْلِ الْآخِرِ (٣٣١).

من خلال تتبع أقوال المفسرين واللغويين يتضح أن التدبر هو الأساس، فهو النظر في عواقب الأمور وما يصير إليه اختيار ما، والتدبر يكون بالتذكر، فالتذكر من استحضار الذهن ما يجب أن لا يغفل عنه، من ضروريات التدبر، فالتذكر من آثار التدبر ودواعيه الهامة، وتدبر الآيات: يعني التفكير فيها، والتأمل، واتباع آيات الله، ويكونا بالتذكر، فيتضح أن التدبر هو العموم والتذكر من آلياته والمعينات والمساعدات من استحضار الذهن ليصل إلى معرف الفرق بين التأمل والتفكير والتدبر:

قد يظن المرء للوهلة الأولى أن هذه الصفات الثلاثة مترادفة أي أنها ذات معنى واحد، ولكن لا يلبث هذا الظن أن يتلاشى عند التحقيق العلمي؛ لأن بينها فروقا دقيقة تحتم أن نجعلها صفات مستقلة، فالتأمل في أصل اللغة مأخوذ من مادة (أم ل) التي تدل على التثبت. والانتظار، والتفكير مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل على تردد القلب في الشيء، أما التدبر فمأخوذ من مادة (د ب ر) التي يقصد بها النظر في عواقب الأمور.

(٣٣٠) التحرير والتنوير ٢٣/٢٥٢، ٢٥٣.
(٣٣١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٥٢، أوضح التفاسير ١/٥٥٧.

ومن الناحية الاصطلاحية نجد التفكير يشير إلى جولان الفكرة وهي القوة المطرقة للعلم بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان كما يقول الراغب ، ولا يقال هذا إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب (٣٣٢).

وقد عرفه الجرجاني بأنه تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب (٣٣٣) ، أما التأمل فقد روعي فيه إدامة النظر والتثبت إذ جاء في تعريفه أنه «تدقيق النظر في الكائنات بغرض الاتعاظ والتذكّر أي إنّه قد روعي إدامة الفكر واستمراريته ومن ثمّ فلا تكون النظرة الواحدة تأملاً وإن كان يمكن أن تكون من قبيل التفكير.

وإذا انتقلنا إلى التدبّر وجدناه يعني (اصطلاحاً) النظر في عواقب الأمور وما تصير إليه الأشياء أي إنّه يتجاوز الحاضر إلى المستقبل لأنّ التدبّر يعني التفكير في دبر الأمور ومن ثمّ عرفه الجرجاني بأنه عبارة عن النظر في عواقب الأمور ، وكلّ من التدبّر والتفكير من عمل القلب وحده إلا أنّ التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبّر تصرفه بالنظر في العواقب، وكلاهما لا يشترط فيه الديمومة أو الاستمرار بخلاف التأمل، وهناك فرق جوهري آخر بين التأمل وكلّ من التفكير والتدبّر يتمثل في أنّ التأمل قد يحدث بالبصر وحده أو بالبصر يعقبه التفكير، أما التفكير والتدبّر فبالبصيرة وحدها إذ هما من أعمال القلب (أو العقل) .

والخلاصة أنّ التأمل قد يكون بالبصر مع استمرار وتأنّ يؤدي إلى استخلاص العبرة، وأنّ التفكير جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقلية عن طريق الدليل. أمّا التدبّر؛ فإنّه يعني النظر العقليّ إلى عواقب الأمور.

وهكذا رأينا أنّ هذه المعاني الثلاثة وإن كانت متقاربة إلا أنّها ليست واحدة وإذا ذكر بعض أهل العلم أنّها مترادفة فإنّما يقصد فقط الترادف الجزئيّ الذي قد يوجد في بعض الأحيان دون بعضها الآخر (٣٣٤).

من فوائد (التدبير) (٣٣٥):

(١) يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب.

(٢) يجعل الإنسان راغباً راهباً.

(٣) النجاة من الغرور.

(٣٣٢) نضرة النعيم ٣/٨٤٥.

(٣٣٣) التعريفات للجرجاني ١/٦٣.

(٣٣٤) نضرة النعيم ٣/٨٤٥، ٨٤٦.

(٣٣٥) نضرة النعيم ٣/٩١٥.

- (٤) الحزم والفتنة من ثمراته.
- (٥) دقة التمييز بين الطيب والخبيث والفاقد والصحيح.

المبحث الثامن: الاعتبار

الجذر اللغوي: (ع ب ر)

ألفاظ هذه المجموعة: اعتبروا - عبرة .

اعتبر لغة: العبرة: الاسم من الاعتبار (٣٣٦). العبرة: الإعتبار بما مضى (٣٣٧). أي الاتعاض والتذكّر (٣٣٨) العبر: جمع عبرة، وهي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدلّ به على غيره. والعبر الإعتبار (٣٣٩).

مصدر «اعتبر» وهو مأخوذ من مادة (ع ب ر) التي تدلّ على النفوذ والمضي في الشيء، يقال: عبرت التهر عبورا، وعبر التهر (بالفتح والكسر) شطّه (٣٤٠).
اعتبر اصطلاحا: والاعتبار والعبرة: الحالة التي يتوصّل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد (٣٤١).

والعبرة يُراد بها الاتعاض، لقوله: (فاعتبروا يا أولي الأبصار) (٣٤٢). قال المُفسِّرون: الإعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالتّظر فيها شيء آخر من جنسها وقيل: الإعتبار هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر (٣٤٣).
وقال المناوي: العبرة والاعتبار: الاتعاض، ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم، وقال بعضهم: الاعتبار المجاوزة من عدوة دنيا إلى عدوة قصوى، ومن علم أدنى إلى علم أعلى .
وقال الجرجاني: الاعتبار: أن يرى الدنّيا للفناء. والعاملين فيها للموت. وعمرانها للخراب.
وقيل: الاعتبار اسم من المعتبرة، وهي رؤية فناء الدنّيا كلّها باستعمال التّظر في فناء جزئها (٣٤٤).
الآيات الواردة في «الاعتبار»

(٣٣٦) الصحاح تاج اللغة ٧٣٢/٢.

(٣٣٧) تهذيب اللغة ٢/٢٣٠، مجمل اللغة لابن فارس ١/٦٤٣، مقاييس اللغة ٤/٢١٠.

(٣٣٨) المصباح المنير ٢/٣٨٩.

(٣٣٩) لسان العرب ٤/٥٣١.

(٣٤٠) نضرة النعيم ٢/٣٧٩.

(٣٤١) بصائر ذوي التمييز ٤/١٥، تاج العروس ١٢/٥١١.

(٣٤٢) معترك الاقران ٣/٣١٩.

(٣٤٣) نضرة النعيم ٢/٣٨١، معترك الاقران ٣/٣١٩، الكليات ١/١٤٧.

(٣٤٤) نضرة النعيم ٢/٣٧٩، التعريفات ١/٣٠، الكليات ١٢٢.

الاعتبار بالمشاهدات (٣٤٥):

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٣٤٦).

الاعتبار بالمرويات:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٤٧).

(عن طاووس قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: «يا روح الله! هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم، من كان منطقهم ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، فإنه مثلي») (٣٤٨).

كيفية التفكير والاعتبار:

قال الغزالي - رحمه الله -: اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب، ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ومثاله أن من مال إلى العاجلة، وآثر الحياة الدنّيا، وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقتان: أحدهما: أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنّيا، فيقلده، ويصدقّه من غير بصيرة بحقيقة الأمر، فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله، وهذا يسمّى تقليدا ولا يسمّى معرفة. والطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار، ثم يعرف أن الآخرة أبقى. فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة، وهو أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقّق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين. فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصّل به إلى المعرفة الثالثة يسمّى تفكّرا واعتبارا وتذكّرا ونظرا وتأمّلا وتدبّرا (٣٤٩). أمّا التدبّر والتأمّل والتفكّر: فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة * * *.

وأما اسم التذكّر والاعتبار والنظر؛ فهي مختلفة المعاني، وإن كان أصل المسمّى واحدا؛ كما أن اسم الصّارم، والمهتد، والسيف؛ يتوارد على شيء واحد، ولكن باعتبارات مختلفة. فالصّارم

(٣٤٥) نضرة النعيم ٢/٣٨١.

(٣٤٦) سورة المؤمنون: ٢١.

(٣٤٧) سورة يوسف: ١١١.

(٣٤٨) نضرة النعيم ٢/٣٨٥.

(٣٤٩) إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥. *** وهذا غير دقيق ويظهر جليا من خلال دراسة كل لفظ على حده ومعرفة أن هناك فروقا بين هذه الالفاظ وأنها ليست مترادفة على معنى واحد.

يدلّ على السيف من حيث هو قاطع، والمهتد يدلّ عليه من حيث نسبته إلى موضعه، والسيف يدلّ دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد (٣٥٠).

الإعتبار: هُوَ مَاخُودٌ مِنَ الْعُبُورِ وَالْمَجَاوِزَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَلِهَذَا سُمِّيَتِ الْعَبْرَةُ عِبْرَةً وَالْمَعْبَرُ مَعْبَرًا وَاللَّفْظُ عِبَارَةٌ وَيُقَالُ: السَّعِيدُ مِنْ أَعْتَبَرُ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ أَعْتَبَرُ بِهِ غَيْرِهِ (٣٥١).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشُّرْبِ﴾ (٣٥٢).

- جملة (وإن لكم في الأنعام لعبرة) معطوفة على جملة (إن في ذلك لآية لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) أي كما أن في إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض عبرة، فإن لكم في الأنعام لعبرة أيضا.
- في الالتفات من الغيبة (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) إلى الخطاب (وإن لكم) كمال العناية الربانية بنا، ولو قلنا في غير التنزيل "وإن في الأنعام لعبرة" لدل على المراد، ولكنه لم يحمل معاني العناية الربانية بنا (لكم).
- في التأكيد ب (إن) واللام في (لعبرة) مع ما سبق من الالتفات، دلالة على أن العبارة في الأنعام عبرة عظيمة، وأن الاعتبار بها هو حق لازم على هؤلاء العرب الذين يعيشون في بيئة رعوية، ويعتمدون اعتمادا شبيه كلي على الأنعام.
- (لعبرة) أصل العبارة من العبور، حيث يعبر المعتبر بما علمه من الحالة المشاهدة إلى الحالة غير المشاهد.

فالحالة المشاهدة في هذه الآيات هي مخلوقات الله، والتي تعبر بعقولنا إلى الحالة غير المشاهدة أن الله عظيم مستحق للعبادة وحده.

- جملة (نسقيكم مما في بطونه) تفسير لجملة (وإن لكم في الأنعام لعبرة)، ولم تعطف جملة (نسقيكم مما في بطونه) على جملة (وإن لكم في الأنعام لعبرة)؛ وذلك لأن بينهما كما يقوم علماء البلاغة: كمال اتصال، ولأجل كمال الاتصال بين الآيتين لم يقع العطف، وهذا ما يسمى في علم البلاغة بـ "الفصل" (٣٥٣).

(٣٥٠) إحياء علوم الدين ٤ / ٤٢٦.

(٣٥١) الكليات ١ / ١٤٧.

(٣٥٢) سورة النحل: ٦٦، ٦٥.

(٣٥٣) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ١ / ١٣٣.

قوله تعالى (من بين فرث ودم) هو: يتكون اللبن من بين فرث أولاً ومن بين دم ثانياً.
- (من بين فرث ودم) قدم ذكر الفرث على الدم؛ لأن الاستفادة أولاً من الفرث وبعدها من الدم، فهو ترتيب وفق الوجود الطبيعي.

- (لبننا خالصاً سائغاً للشاربين) وهذا الدم المستخلص من الفرث والدم خالص لا يشوبه صفات الفرث ولا الدم، وزيادة على ذلك فإن الله يسر شربه، فهو سهل الشرب ولا يتعسر على الإنسان شربه وبلعه.

- ولكن لماذا لم يذكر النص اللبن في البداية، أي لماذا جاء النص بالمبهم أولاً (مما في بطونه من بين فرث ودم) ولماذا لم يأت بالمبين بداية، أي: "نسقيكم لبننا خالصاً" وبعدها (من بين فرث ودم)؟

والسبب هو أن أسلوب التشويق أبلغ في البيان، فابتدأت الآية بالمبهم تعظيماً للأمر وتشويقاً، ثم بينت أن ذلك الأمر العظيم في خلقه هو اللبن الذي لا تلتفتون إلى بديع خلق الله فيه (٣٥٤).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٣٥٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذِكْرُ أَنْ فِيهَا عِبْرَةٌ مُجْمَلًا ثُمَّ أَرَدَفَهُ بِالتَّفْصِيلِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَالْمُرَادُ مِنْهُ جَمِيعُ وُجُوهِ الإِنْتِفَاعِ بِأَلْبَانِهَا، وَوَجْهُ الإِعْتِبَارِ فِيهِ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي الضَّرْوِعِ وَتَتَخَلَّصُ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَسْتَحِيلُ إِلَى طَهَارَةٍ وَإِلَى لَوْنٍ وَطَعْمٍ مُوَافِقٍ لِلشَّهْوَةِ وَتَصِيرُ غِذَاءً، فَمَنْ اسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ. كَانَ ذَلِكَ مَعْدُودًا فِي النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ وَمِنْ أَنْتَفَعَ بِهِ فَهُوَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا، وَأَيْضًا فَهَذِهِ الأَلْبَانُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا إِلَى ضُرُوعِهَا تَجِدُهَا شَرَابًا طَيِّبًا، وَإِذَا ذَبَحْتَهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا أَثْرًا، وَذَلِكَ يُدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى (٣٥٦). فيها عبرة أي اعتباراً بدلائلها على خلق الخالق وقدرته (٣٥٧).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٥٨).

(٣٥٤) السابق ١/١٣٣.

(٣٥٥) سورة المؤمنون: ٢١.

(٣٥٦) تفسير الرازي ٢٣/٢٧٠، تفسير النسفي ٢/٤٦٤، تفسير أبي السعود ٦/١٢٩، التحري والتنوير ٤٠/١٨.

(٣٥٧) زهرة التفاسير ١٠/٥٠٦١.

(٣٥٨) سورة يوسف: ١١١.

وَتُطْلَقُ الْعِبْرَةُ عَلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْإِعْتِبَارُ الْمَذْكُورُ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَفْعُولِ كَمَا هُنَا. وَمَعْنَى كَوْنِ الْعِبْرَةِ فِي قِصَصِهِمْ أَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ فِيهِ ظَرْفِيَّةٌ مَجَارِيَّةٌ، وَهِيَ ظَرْفِيَّةُ الْمَذْلُولِ فِي الدَّلِيلِ فَهِيَ قَارَةٌ فِي قِصَصِهِمْ سَوَاءً اعْتَبَرَ بِهَا مَنْ وَفَّقَ لِلْإِعْتِبَارِ أَمْ لَمْ يَعْتَبِرْ لَهَا (٣٥٩).

وَجُمْلَةٌ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى إِلَى آخِرِهَا تَعْلِيلٌ لِحُجْمَلَةٍ لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ أَيْ لِأَنَّ ذَلِكَ الْقِصَصَ خَبْرٌ صِدْقٍ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ وَمَا هُوَ بِقِصَّةٍ مُخْتَرَعَةٍ. وَوَجْهُ التَّعْلِيلِ أَنَّ الْإِعْتِبَارَ بِالْقِصَّةِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ خَبْرًا عَنْ أَمْرٍ وَقَعَ، لِأَنَّ تَرْتُّبَ الْأَثَارِ عَلَى الْوَاقِعَاتِ رَتَّبَ طَبِيعِيٌّ فَمِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَرْتَّبَ أَمْثَالُهَا عَلَى أَمْثَالِهَا كُلَّمَا حَصَلَتْ فِي الْوَاقِعِ، وَلِأَنَّ حُصُولَهَا مُمَكِّنٌ إِذِ الْخَارِجُ لَا يَقَعُ فِيهِ الْمُحَالُ وَلَا النَّادِرُ وَذَلِكَ بِخِلَافِ الْقِصَصِ الْمَوْضُوعَةِ بِالْخَيَالِ وَالتَّكَاذِيبِ فَإِنَّهَا لَا يَحْصُلُ بِهَا اعْتِبَارٌ لِاسْتِبْعَادِ السَّمْعِ وَفُوعِهَا لِأَنَّ أَمْثَالَهَا لَا يُعْهَدُ، مِثْلَ مُبَالَغَاتِ الْخُرَافَاتِ (٣٦٠).

وَالْتَفْصِيلُ: التَّبَيُّنُ. وَالْمُرَادُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْأَشْيَاءَ الْكَثِيرَةَ مِمَّا يَرْجَعُ إِلَى الْإِعْتِبَارِ بِالْقِصَصِ. وَإِطْلَاقُ الْكُلِّ عَلَى الْكَثْرَةِ مَضَى عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ [٣١].

وَالْهُدَى الَّذِي فِي الْقِصَصِ: الْعِبْرَةُ الْبَاعِثَةُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى بِمُشَاهَدَةِ مَا جَاءَ مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي أَثْنَاءِ الْقِصَصِ عَلَى أَنَّ الْمُتَصَرِّفَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى (٣٦١).

من فوائد (الاعتبار)

- (١) كثرة التّفكّر والاعتبار تقوّي الإيمان بالله عزّ وجلّ.
- (٢) توسّع مدارك المؤمن وتدلّه على آيات الله تعالى.
- (٣) تكسب المؤمن خوفاً من الله عزّ وجلّ ومهابة من عقابه.
- (٤) تجعله يعرف الدّنيا أنّها ظلّ زائل وأنّ الآخرة هي دار القرار.
- (٥) يقنع المؤمن بما رزقه الله عمّا في أيدي الناس.
- (٦) يعيش المؤمن بسعادة واطمئنان (٣٦٢).

(٣٥٩) التحرير والتنوير ٧١/١٣.

(٣٦٠) السابق ٧١/١٣، ٧٢.

(٣٦١) نفسه ٧٢/١٣.

(٣٦٢) نضرة النعيم ٣٨٧/٢.

المبحث التاسع: التأمل

التأمل لغة: مصدر تأمّل وهو مأخوذ من مادة (أم ل) التي تفيد معنيين:

الأول: التثبيت والانتظار، والثاني: الحبل من الرمل ومن المعنى الأول قول الخليل: الأمل الرجاء تقول أملتّه أوَمَلته تأميلاً، وأملتّه آمله أملاً ، وهذا لما فيه من الانتظار. والتأمل: التثبيت في النظر (٣٦٣).

وتأمل الرجل: تلبّث في الأمر والنظر وانتظر، تأمّل الشيء: إذا حدّق نحوه، وقيل: تدبّره وأعاد النظر فيه، مرّة بعد أخرى ليحقّقه (٣٦٤)، تأملت الشيء أي نظرت إليه مشتبهاً له (٣٦٥). التأمل اصطلاحاً: هو تدقيق النظر في الكائنات بغرض الاتعاظ والتذكّر (٣٦٦).

التأمل: هو استعمال الفكر (٣٦٧)

تأمل القرآن:

قال ابن القيم: **أما التأمل** في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه. وجمع الفكر على تدبّره وتعقله. وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر، قال الله تعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ" (٣٦٨).

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاذه، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة **التأمل** فيه وجمع الفكر على معاني آياته. فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشر (٣٦٩).

لفظ (التأمل) في القرآن الكريم (٣٧٠):

لم يرد لفظ التأمل في القرآن الكريم صراحة ولكن أشارت إليه عديد من الآيات التي تأمر بالنظر في خلق الله والتثبت في رؤية عجائب الكون وآثار السابقين، وقد نعت آيات كثيرة على المشركين عدم تأملهم فيما تشاهده أعينهم ويقع تحت أيديهم من عجائب صنع الله، وقد اقترنت آيات كثيرة بالأفعال «يروا، ينظروا» بصيغة المضارع التي تدلّ على الاستمرار وإدامة الرؤية أو

(٣٦٣) لسان العرب (٢٧/١١)، مختار الصحاح ٢٢/١، نضرة النعيم ٨٤٧/٣..

(٣٦٤) تاج العروس ٢٧/٢٨.

(٣٦٥) لسان العرب (٢٧/١١)، مختار الصحاح ٢٢/١.

(٣٦٦) نضرة النعيم ٨٤٣/٣.

(٣٦٧) الكلبيات ٢٨٧/١.

(٣٦٨) سورة ص: ٢٩.

(٣٦٩) نضرة النعيم ٨٤٣/٣.

(٣٧٠) نضرة النعيم ٨٤٦/٣، أرشيف ملتقى أهل التفسير ١١٩٢٥.

النظر. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٧١).

إن التأمل الذي دعا إليه القرآن الكريم ونعى على الكفار والمشركين عدم تنبهم له وغفلتهم عنه مما جعلهم في غيهم يعمهون، يتعلق بأشياء كثيرة منها:
التأمل في عجائب صنع الله - عز وجل - ومنها التأمل في خلق الإنسان، ومنها التأمل في إحياء الله الأرض بعد موتها، ومنها التأمل في آثار الأمم السابقة، وقد كان تأمل ذلك حرياً بأن يردهم إلى الصواب ويحملهم على التصديق بالوحدانية والإيمان بالبعث، ولكن أتى لهم ذلك، وقد صاروا كالبهائم التي لا عقل لها فلا تستنبط شيئاً مما تراه الأعين، ولو كانوا يعقلون لما فاتهم استخلاص العبر والوصول إلى النتائج، قال تعالى: ﴿.. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَآدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٧٢).

الآيات الكريمة التي تحض على التأمل وفقاً للسياقات التي وردت فيها
الآيات الواردة في «التأمل» معنى
التأمل في خلق السماوات والأرض:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٧٣).
قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٧٤).
قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧٥).

التأمل فيما تنبت الأرض:

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفْضُلٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٧٦).
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٧٧).

(٣٧١) سورة العنكبوت: ١٩، ٢٠.

(٣٧٢) سورة يوسف: ١٠٩.

(٣٧٣) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٣٧٤) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣٧٥) سورة يونس: ١٠١.

(٣٧٦) سورة الرعد: ٤.

(٣٧٧) سورة الحج: ٦٣.

التأمل في أحوال الأمم السابقة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (٣٧٨).

قال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٧٩).

التأمل في خلق الإنسان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٣٨٠).

قال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٣٨١).

قال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٨٢).

التأمل في أحوال الطير:

قال تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (٣٨٣).

التأمل في نعم الله وعجائب مخلوقاته:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣٨٤).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٨٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٨٦).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٣٨٧).

(٣٧٨) سورة طه: ١٢٨.

(٣٧٩) سورة الروم: ٩.

(٣٨٠) سورة الحج: ٥.

(٣٨١) سورة العنكبوت: ١٩.

(٣٨٢) سورة يس: ٧٧.

(٣٨٣) سورة الملك: ١٩.

(٣٨٤) سورة لقمان: ٢٩.

(٣٨٥) سورة لقمان: ٣١.

(٣٨٦) سورة الجاثية: ٣.

(٣٨٧) سورة الغاشية: ١٧: ٢١.

المثل التطبيقي من حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في (التأمل)(٣٨٨).
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣٨٩).**
 ، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَّاءِ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» (٣٩٠).

من الاثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (التأمل)(٣٩١).
 (عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه كان إذا تلا هذه الآية: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (٣٩٢)، قال: بلى يا رب، بلى يا رب).
 (عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب» .)

(عن عبد الله بن عتبة قال: سألت أم الدرداء، ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء، قالت: «التفكير والاعتبار» (٣٩٣).

(قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-:

«التأمل في نعم الله- عز وجل- من أفضل العبادة» .)

(قال الغزالي- رحمه الله-: «كثير الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله، ورتبته (٣٩٤)

الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يشمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخسرتها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا.
 وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورث ذلك الجهد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت. وهذه الأفكار تعلي همته وتحببها بعد موتها (٣٩٥).

(٣٨٨) نضرة النعيم ٨٥٣/٣.

(٣٨٩) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣٩٠) صحيح البخاري ٤١/٦.

(٣٩١) نضرة النعيم ٨٥٤/٣.

(٣٩٢) سورة الحديد: ١٦.

(٣٩٣) الزهد لوكيع ٤٧٤/١.

(٣٩٤) نضرة النعيم ٨٥٦/٣.

من فوائد (التأمل)(٣٩٦).

- (١) التأمل نافع للعبء في معاشه ومعاده، حيث يعرف به العبد معالم الخير والشر.
- (٢) التأمل خير معين على التقوى والموعظة.
- (٣) التأمل قيمة عقلية كبرى تجعل صاحبها في مأمن من تقلب الأيام وصروف الزمان.
- (٤) التأمل يؤدي بالمسلم أن يكون إيمانه عن اقتناع ويخرجه من دائرة العمالة إلى الخاصة.
- (٥) التأمل دليل البصر.
- (٦) التأمل رأس رجاحة العقل.

المحتويات

| | |
|----|--------------------------------|
| ٦ | المبحث الأول: النظر في القرآن. |
| ١٣ | المبحث الثاني: البصر. |
| ٢٢ | المبحث الثالث: الرؤية. |
| ٢٨ | المبحث الرابع: التذكر. |
| ٣٤ | المبحث الخامس: التفكير. |
| ٤٠ | المبحث السادس: العقل. |
| ٤٦ | المبحث السابع: التدبر. |
| ٥٢ | المبحث الثامن: الاعتبار. |
| ٥٧ | المبحث التاسع: التأمل. |